بلدية الكويت

التراث الحضاري
في المدينة العربية المعاصرة

الدكتور مهندس عبد الباقي إبراهيم

B. ENG., B. ARCH., M. C. D., PH. D.

خبير هيئة الامم لتخطيط المدن بالكويت

استاذ تخطيط المدن المساعد بجامعة عين شمس

مكتبة
الدراسات التخطيطية والعمارية
١٧٤٧
٧١١/١٢

بلدية الكويت

التراث الحضاري
في المدينة العربية المعاصرة

الدكتور مهندس عبد الباقي ابراهيم
B. ENG., B. ARCH., M. C. D., PH. D.
خبير هيئة الامم لتخطيط المدن بالكويت
استاذ تخطيط المدن المساعد بجامعة عين شمس

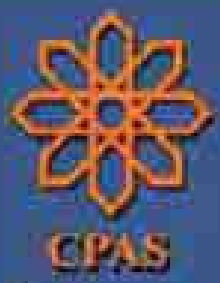

حقوق الملكية و النشر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا مات إبن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث
صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له
رواه مسلم وغيره

وعملاً بهذا التوجية الكريم فإن مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية
ليأمل من نشر كتب و مقالات وكتابات وأبحاث أ.د/ عبد الباقي إبراهيم
على موقعه الإلكتروني أن تكون صدقة جارية على روحه .

لذلك يمكن نقل أو إعادة النشر أو الإقتباس من الكتابات المنشورة بغرض
الإطلاع أو البحث العلمي فقط بشرط الإشارة إلى المصدر
(عنوان المقال أو البحث – أسم أ.د/ عبد الباقي إبراهيم – الناشر
مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية www.cpas-egypt.com)
ولايسمح بإعادة إستخدام أي جزء أو إقتباس أو إعادة نشر أو طباعة أي جزء
من الكتابات أو المقالات أو الأبحاث في الأعمال الدعائية أو التجارية
أو ذات الصفة الربحية بدون الحصول على إذن خطي من المركز .

حقوق الملكية و حقوق النشر محفوظة " لمركز الدراسات التخطيطية و المعمارية "
www.cpas-egypt.com

فهرس

(الموضوع)

الصفحة

مقدمة ٩

تطور الفكر لاحياء التراث الحضارى ١٢

المقومات الحضارية للمدينة ١٣

البيئة الثقافية للمدينة ١٣

البيئة الطبيعية للمدينة ٢٩

التغير فى المقومات الحضارية ٣٠

الاستمرار الحضارى فى العالم العربي ٣١

من التراث الاشورى الى التراث الاسلامي ٣٢

من التراث الفرعوني الى التراث الاسلامي ٣٢

توقف الاستمرار الحضارى العربي ٣٤

التأثير المتبادل بين الحضارتين العربية والغربية ٣٤

القيم التخطيطية فى المدينة العربية القديمة ٤٢

المقومات التخطيطية لمدينة الفسطاط ٤٣

المقومات التخطيطية لمدينة القطائع ٤٣

المقومات التخطيطية للقاهرة المعزية ٤٣

المقومات التخطيطية لمدينة المنصور ٤٤

المقومات التخطيطية لمدن المغرب العربي ٤٥

المقومات التخطيطية للمدن القديمة بعد الفتح الاسلامي ٤٥

المقومات التخطيطية لمدن الاقاليم ٤٥

عناصر تخطيط المدينة العربية القديمة ٤٦

المسجد ٤٦

الساحة ٤٧

الشوارع التجارية ٤٨

الموضوع	الصفحة
المظهـر التخطيطى للمدينة العربيـة القديمة	٥١
القيم المعمارية فى المدينة العربيـة	٦١
الطريق الى اظهار التراث الحضاري فى المدينة المعاصرة	٧٨
اظهار التراث الحضاري للعمارة التاريخية فى المدينة القديمة ...	٧٨
اظهار التراث الحضـاري فى المناطق القائمة من المدينة	٧٩
اظهار التراث الحضاري فى تخطيط المناطق الجديدة فى المدينة ...	٨٣
التقاء الفراغ والزمن والعمارة فى تشكيل المدينة المعاصرة	٨٣
اظهار التراث الحضاري للعناصر التخطيطية فى المدينة المعاصرة	٨٥
تصنيع المباني والتراث الحضاري	٩٤
التشريعات التخطيطية والتراث الحضاري فى المدينة العربية	٩٤
محاولات ربط المدينة العربية المعاصرة بالتراث الحضاري	١٠٠
تقرير المجلس الاوربي عام ١٩٦٣ عن حماية المباني والمواقع التاريخية ...	١١٦
المحاولات التى تمت فى الدول الاخـرى لربط المدينـة بالتراث الحضارى	١١٩
الخاتمـه	١١٩

مضمون الكتاب :

تناقش مقدمة الكتاب التسلسل الفكرى فى موضوع احياء التراث الحضاري فى المدينة العربية المعاصرة ومناقشة ما كتب او نشر عن هذا الموضوع مع اشارة خاصة الى البحث الذى تقدم به المؤلف الى المؤتمر الدولي للمعماريين الذى عقد فى براغ فى يوليو ١٩٦٧ لمناقشة موضوع التراث الحضاري وبيئة الانسان .

وينتقل الكتاب بعد ذلك الى مناقشة تطور الفكر لاحياء التراث الحضارى فى الدول المتقدمة والدول النامية. وتحاول هذه الدراسة ان تكون مدخلا الى معالجة اسلوب ربط المدينة بتراثها الحضارى ليس فقط من الناحية الفلسفية بل يتعداها الى الناحية التطبيقية ثم الناحية التشريعية التى تضمن لها البقاء والاستمرار .

وقبل التعرض الى تفاصيل الموضوع ناقش الكتاب عناصر البيئة الحضارية التى تعيش فيها المدينة كعضو حى سواء البيئة الثقافية او البيئة الطبيعية . ومدى ارتباط ذلك بتكوين المدينة . كما ناقش الكتاب بعد ذلك معدل التغير فى هذه المقومات الحضارية والاستمرار الحضاري فى العالم العربي . ثم التأثير المتبادل بين الحضارتين العربية والغربية .

وينتقل الكتاب بعد ذلك الى تحليل القيم التخطيطية للمدينة العربية القديمة سواء فى العناصر او المظاهر التخطيطية ثم يوضح الكتاب بعد ذلك القيم المعمارية للعمارة الاسلامية فى ضوء البيئة الحضارية التي عاشتها المدينة فى هذه المرحلة من التاريخ .

يوضح الكتاب بعد ذلك السبيل الى اظهار التراث الحضاري فى المدينة المعاصرة بصفة عامة سواء من ناحية اظهار التراث الحضاري للعمارة التاريخية فيها او فى المناطق المبنية حديثا منها او فى مناطق الامتداد الجديدة . ثم ينتقل الكتاب بعد ذلك الى محاولة توضيح التقاء الحركة والمقياس فى تشكيل الكيان الطبيعي للمدينة .

وعلى ضوء الدراسات السابقة يوضح الكتاب كيفية اظهار التراث الحضاري للعناصر التخطيطية فى المدينة المعاصرة . سواء فى منطقة وسط المدينة او فى المناطق السكنية . ومن هنا خرج الكتاب ببعض التوصيات التي يمكن ان تكون اسسا للتشريعات التنظيمية التى تساعد على ربط المدينة بالتراث الحضاري .

وبعد ذلك ناقش الكتاب المحاولات السابقة التي تمت لاظهار التراث الحضاري فى المدينة العربية المعاصرة . ومقارنة هذه المحاولات بالنظريات التي سبق ان توصل اليها البحث واشار الكتاب بصفة خاصة الى تقرير المجلس الاوروبي عام ١٩٦٣ عن حماية وتطوير المباني والمواقع التاريخية للمحافظة على التراث الحضاري للمدن الاوربية حتى يكون مثلا للدراسة والمناقشة . ثم تعرض الكتاب بعد ذلك الى المحاولات المماثلة التي تمت فى الدول الاخرى . ثم ناقش الكتاب كذلك اثر تصنيع المباني على التراث الحضاري .

دكتور عبد الباقي ابراهيم

٢٥ سبتمبر ١٩٦٨

التراث الحضاري في المدينة العربية المعاصرة

مقدمـــة :

استمرارا للفكر المعماري والتخطيطي للبحث عن أثر التراث الحضاري فى تكوين المدينة العربية المعاصرة تشير هذه الدراسة الى ما سبق نشره أو تقديمه الى المؤتمرات فى هذا الموضوع منذ ان تطرقت اليه المناقشات التي اجراها مؤتمر حرية الثقافة الذى عقـد فى القاهـرة فى ديسـمبر سـنة ١٩٦١ وضـم اليـه قـادة التخطيط والعمارة المعاصرة فى العالم مثل رودجرز من ايطاليا وماكسويل فراى من انجلترا وايرنست من هولندا وكوستا من البرازيل ودوكسيادس من اليونان وغيرهم من قادة العمارة والاقتصاد والاجتماع . فقد جاء فى قرارات هذا المؤتمر ما يلي :

١ ــ ان المدينة العربية فى تخطيطها ونموها يجب ان تحتفظ بخصائصها المميزة فى الوقت الذى تقابل فيه احتياجات الحاضر والمستقبل .

٢ ــ لما كان المسجد يكون جزءا هاما من الكيان الاجتماعي للمدينة العربية فيجب اعطائه الاعتبار الكامل فى تخطيطها العـام بحيث لا تقتصر وظيفة المسجد على كونـه مكانا للعبادة فقط بل مركزا للنشاط الثقافي والاجتماعي للسكان .

٣ ــ يعتبر السوق القديم فى المدينة العربية مثلا رائعا لتصميم المراكز التجارية .

واذا كانت مثل هذه القرارات قد مست من بعيد موضوع هذا البحث الا انها تعبر عما يراه قادة العمارة والتخطيط فى العالم عن مدى فقدان المدينة العربية لمقوماتها الحضارية . ومع ذلك لم تجابه مثل هـذه القرارات بالاهتمام المناسب مـن الفكر التخطيطي والمعماري العربي الذى ظل فترة طويلة من الزمن يتطلع الى الانتاج الاجنبي ويستوعبه بمقوماته الحضارية .

وفى ١٥ أغسطس عام ١٩٦٣ نشر المؤلف فى جريدة الاهرام القاهرية مقالا تحت عنوان « محاولة للبحث عن الفلسفة التي تختفى وراء العمارة العربية المعاصرة » . جاء فيه انه فى الوقت الذى تسير فيه حركة التعمير والبناء فى الدولة بسرعة فائقة لترسم ملامح صورتها الطبيعية فى مدنها وقراها نجد هذه الملامح وقد فقدت قدرتها

فى التعبير عن المجتمع الجديد او عن تراثه الحضاري العميق . وتقول المقال فى مكان آخر ان العمارة العربية المعاصرة ظلت فترة طويلة من الزمن تحصل على مقوماتها من العمارة الغربية وتستمد اصولها مما تجود عليها به المؤلفات الغربية دون ما تعمق او تبصر بما يوجد فى تراثنا القومي من ذخيرة فنية وافرة . ذلك فى الوقت الذى تركنا فيه رواد العمارة المعاصرة فى العالم الغربي ينهلون من حضارتنا وفلسفاتنا وتراثنا العربي ويقدمون لنا اروع الامثلة للمقومات المعمارية التي تستمد جذورها من تراثنا العربي وذلك فى ضوء المؤثرات المناخية المحلية وامكانيات التقدم التكنولوجي للانشاء .

وذكر المقال كذلك انه طالما تردد المفهوم السطحي لاستنباط الملامح المعمارية المستمدة من التراث الحضاري على انها طراز قومي له صفاته وقواعده او انه تبسيط للعناصر المعمارية الاسلامية يمكن ان تزود بها المباني الحديثة . وقد ظهر اثر هذا المفهوم فى مباني جامعة الازهر وبعض مباني قاهرة الفاطميين الحديثة كما ظهر فى بعض المباني الحكومية التي قامت بها الدولة كمبنى مجمع التحرير او بعض محطات الوجهين البحرى والقبلي ويشير المقال فى مكان آخر الى مسئولية التعليم المعماري الذى لا يزال متخلفا فى بعض جوانبه اذ لا يزال يعتمد الى حد كبير على ما تقدمه المراجع الاجنبية دون اعتبار كبير للظروف المحلية وذلك فى الوقت الذى يعاني فيه الانتاج الفني نقصا كبيرا فى مجال التأليف والبحوث المعمارية التي تستمد اصولها من التراث القومي .

ويقول نفس المقال ان العمارة العربية المعاصرة لا تزال تعتمد الى حد كبير على الانفعالات الشخصية والاحساسات الفردية المتنافرة . سواء اكان ذلك فى المباني السكنية او المباني العامة التي تنمو فى مدننا وقرانا لتفقدها طابعها التخطيطي .

ويشير المقال كذلك الى طبيعة التطور الاقتصادى والاجتماعي الذى تأثر به المجتمع الحديث مؤكدا ان الطابع التخطيطي للمدينة مثله مثل الطابع المعماري يتأثر بالمقومات الثقافية والاجتماعية للشعب مع تفاعلها بالعوامل المناخية والطبيعية التي يعيش فيها هذا الشعب . ولما كان التقدم العلمي يجر ورائه تغييرا فى الحياة الاجتماعية فان استقرار الطابع يعتمد الى حد كبير على المؤثرات الطبيعية والمناخية . بالاضافة الى المقومات التي تستمد من التراث الحضاري للشعب .

كما اشار المقال فى مكان آخر الى ان البلاد وقد تعرضت على مر السنين لكثير من الفتوحات والحضارات بحكم موقعها بين القارات الثلاث فان الشعب العربي فى مصر قد تأثر كثيرا بهذه الفتوحات وهذه الحضارات التي تركت آثارا عميقة فى المجتمع العربى وخلقت هذا التباين الظاهر بين طبقاته المختلفه اجتماعيا وثقافيا .

ويقول المقال ان الطابع فى مفهومه هنا ليس فى تقليد الماضى او نقلا صريحا لعمارته وتخطيطه او تبسيطا لعناصره ولكنه احياء لروحه وفلسفته اما عن طريق الاختزال الفني لخصائصه المعمارية او عن طريق تطبيق مقوماته فى الانشاء والتصميم والتخطيط بما يتناسب مع الحاضر والمستقبل .

وفى نفس المجال اتخذ مؤتمر المهندسين العرب الثامن الذى عقد فى بغداد فى ديسمبر عام ١٩٦٤ قرارا اشار فيه الى ضرورة العمل على ايجاد مدرسة فكر معمارية تستمد مقوماتها من البيئة والتراث العربي .

وفى مناسبات محدودة استمر الجدل والنقاش حول ضرورة الاعتماد على الثروة المعمارية لتراثنا الحضارى وربطها بعمارتنا المعاصرة ولتركيز المفاهيم الفلسفية للتراث الحضاري العربي وهو ما اقتنع به قلة من المخططين والمعماريين العرب حاولوا ابرازها فى مشروعاتهم المعمارية والتخطيطية واستمرت الغالبية منهم تسير على النهج الآخر اما عن اقتناع او عن احساس بالعجز يثنيهم الى الطريق السهل والكسب السريع .

ومع هذا الاستمرار فى الفكر وفى الدراسة والبحث اعلن الاتحاد الدولي للمعماريين عن موضوع بحوثه الرئيسية لدورة انعقاده التاسعة فى شهر يوليو سنة ١٩٦٧ فى مدينة براغ بتشيكوسلوفاكيا متضمنة موضوع أثر التراث الحضاري وبيئة الانسان فى التخطيط والعمارة والمعاصرة . وتقدم المؤلف الى هذا المؤتمر ببحث نشر له تحت عنوان « التراث الحضارى والعمارة العربية المعاصرة » تضمن توضيحا لأثر التطور التكنولوجي الاقتصادى على التراث الحضاري مع اشارة خاصة الى الجمهورية العربية المتحدة وينتقل البحث بعد ذلك الى محاولة البحث عن التراث الحضاري للفترات التاريخية المختلفة التي مرت بها البلاد ــ ومن هنا يدخل البحث فى توضيح الخصائص والعناصر المميزة للعمارة الاسلامية سواء فى الابنية او فى التعبير المعماري الطبيعي او فى دراسة القطاعات الراسية فيها او فى استخدام الاشكال الهندسية او فى التعبير الانشائي او فى استخدام المشربيات ــ وينقل البحث بعد ذلك الى مناقشة النواحي التطبيقية لابراز التراث الحضاري ومنها المحافظة على المباني التاريخية اما عن طريق التجانس بينها وبين المباني الحديثة او التباين الذي يؤكد اظهارها واما عن طريق المحافظة على القيم المعمارية للتراث الحضاري بما يتناسب مع التطور التكنولوجي والتحول الاجتماعي للحياة المعاصرة وذلك لتأكيد الاستمرار الطبيعي للحضارة . الامر الذى يتطلب استمرار التوازن بين توفير الاحتياجات المادية والاحتياجات العاطفية للمجتمعات النامية .

ولم يقتصر البحث المقدم الى المؤتمر الدولي للمعماريين على دراسة الاسس الفلسفية لربط التراث الحضاري بالعمارة العربية المعاصرة ولكن حرص المؤلف على تقديم بعض النماذج التطبيقية لهذه الاسس وذلك فى بعض المشروعات التخطيطية والمعمارية التي اضطلع بها مثل مشروع تخطيط المدينة السياحية بمنطقة الاهرامات بالجيزة او التصميم الابتدائي لمبنى بنك القاهرة فى مدينة القاهرة او فى تصميم احدى المباني السكنية التي اقامها فى احدى ضواحي المدينة .

وبعد هذا التسلسل الفكرى للبحث من الناحية الفلسفية الى الناحية التطبيقية تعرض البحث الى أثر قوانين المبانى على المظهر المعماري للمدينة ثم الى ديناميكية المدينة ومفهوم المعاصرة وارتباط التخطيط القديم بالتطور التكنولوجي والاجتماعي وفسر هذا الارتباط فى اسس تصميم مركز المدينة وطبيعة ارتباط المكان والزمان والعمارة فى تكوين المدينة .

كما لمس المؤلف بعد ذلك موضوع التراث الحضاري وأثره على تخطيط المدينة العربية وذلك فى البحث الذى تقدم به الى مؤتمر منظمة المدن العربية الذى عقد فى بيروت فى اول اغسطس سنة ١٩٦٨ وتضمن دراسة تأثير البيئة الحضارية بعنصريها الطبيعي والثقافي على كيان المدينة على مر العصور وانتهى البحث الى دراسة المقومات التخطيطية للمدينة العربية وضرورة البحث عن اساليب جديدة لتخطيطها على ضوء مقوماتها الحضارية .

ويعتبر هذا الكتاب امتدادا فكريا لما تقدم من دراسات فهو يعطي ابعادا اوسع لأثر التراث الحضاري فى تكوين المدينة العربية المعاصرة سواء من النواحي الفلسفية او التطبيقية او التنظيمية .

تطور الفكر لاحياء التراث الحضـــارى :

كثيرا ما ترددت فكرة احياء للتراث الحضارى فى مختلف الدول وعلى فترات متقاربة من التاريخ الحديث وذلك فى محاولة لموازنة الاحتياجات المادية بالاحتياجات العاطفية لحياة السكان . وقد ظهر هذا الاتجاه واضحا بعد ظهور الثورة الصناعية وعندما اخذت الآلة تلعب دورها الكبير فى توجيه الحياة اليومية للسكان . ومع الزيادة المضطردة فى معدل التقدم التكنولوجي بعد الثورة الصناعية لم يجد الانسان عنده القدرة الكافية على مقابلة هذا المعدل فى تطوره الاجتماعي ومن ثم فى توفير احتياجاته المعنوية فى الحياة ففي عام ١٩٤٥ اتخذت جماعة المؤتمر الدولي للعمارة المعاصرة فى جنيف قرارا يهدف الى ضرورة قيام العمارة المعاصرة وتخطيط المدن بتوفير الجوانب المعنوية والروحية والعاطفية للانسان . وقد جاءت هذه التوصية فى الوقت الذى كانت فيه العمارة توجه اساسا لخدمة الاحتياجات المادية السريعة للانسان مع ظهور حركة التصنيع السريع وبرامج التنمية الاقتصادية فى الدول الغربية قبل الحرب العالمية الثانية معتمدة فى ذلك على ما توفرها لها مستعمراتها فى الشرق من مصادر للمواد الخام كما كانت سوقا خصبا لتسويق منتجاتها وما تحمله من مقومات للحضارة الغربية التي تغلغلت الى آفاق واسعة من العالم .

وانعكس ذلك بالتبعية على الكيانات الاجتماعية للسكان ومن ثم على الكيانات الطبيعية لمدنهم وعمارتهم المعاصرة ـ وهكذا اخذت المظاهر العالمية فى التخطيط والعمارة او بالاحرى المظاهر الغربية فى التخطيط والعمارة تترك آثارها بسرعة فى مختلف امصار الارض دون ان تجد لديهـــا الـــوقت الكافي لتنمو نموها الطبيعي الذى ترتبط فيه بالبيئات الثقافية والبيئات الطبيعية لهذه الامصار . اللهم الا فى امصـــارها الاصلية فى مدن الغرب .

ومع استمرار الفارق الحضاري بين الدول المتقدمة والدول النامية لم تجد المدينة فى الدول النامية فرصة لأن تمد جذورها وتنمو فى بيئتها الطبيعية او فى بيئتها الثقافية بل استمرت اجيالا طويلة من الزمن تنمو فى بيئة صناعية غريبة عنها .

واذا كان القلة القليلة من المفكرين فى هذه الدول تحاول ان تضع اصابعها على بداية الخيوط لهذه الظاهرة التي كادت تقضي على المقومات الحضارية فى الدول النامية الا أن سواد الشعوب فى هذه الدول لا تزال تتأثر بالحضارات الغربية عنها . ومن هنا كانت ضخامة الدور الذى يضطلع بهؤلاء المفكرين فى سبيل ربط شعوبهم بمقومات تراثهم الحضاري وفى مقدمة هؤلاء مخطط المدن والمعماريون الذين يرسمون البيئة الطبيعية لحضارة شعوبهم .

وتحاول هذه الدراسة ان تكون مدخلا الى معالجة ربط المدينة العربية بتراثها الحضاري ليس من الناحية الفلسفية فقط بل يتعداها الى الناحية التطبيقية ثم الى الناحية التقنينية او التشريعية التي تضمن لها البقاء والاستمرار .

المقومات الحضارية للمدينة :

من الطبيعي ان يتبلور التراث الحضاري للمدينة من خلال البيئة الحضارية التي تنمو فيها وتنقسم البيئة الحضارية الى قسمين : **البيئة الثقافية** : وهي تتغير على مر العصور . **والبيئة الطبيعية** : وهي لا تتغير على مر العصور وتكاد لا تختلف . وهكذا تتطور المدينة بين مؤثرين اساسيين احدهما متغير والآخر يكاد يكون ثابتا . الامر الذى يستدعي تحليل العناصر المكونة لهذين المؤثرين او بمعنى آخر العناصر المكونة لكل من البيئة الثقافية والبيئة الطبيعية التي تنمو فيها المدينة .

أ ـ البيئه الثقافيه للمدينـــة :

والبيئة الثقافية التي تتطور فيها المدينة تضم العناصر المتكاملة الآتية :

١ ـ الخلفية التاريخية للمدينة :

من الخلفية التاريخية للشعب يمكن ادراك الظروف الحضارية التي عاشها هذا الشعب فى مراحل تاريخه الطويل ومدى تأثره بالحضارات المحلية او الحضارات الواردة عليه وما تركته كل منهم من رواسب تغلغلت فى شخصية الشعب وما يهم المخطط هنا هو تقدير مدى ارتباط الشعوب بمدنهم عاطفيا وطبيعيا وفى المدن الاغريقية والرومانية القديمة أمثلة ناطقة عن مدى انعكاس شخصية سكانها على التكوين الطبيعي لهذه المدن فديمقواطية الحكم والمساواة ظهرت فى التقسيمات المتساوية فى المدن الاغريقية وتقديس الشعب للنظام والقانون ظهر فى الوحدات القياسية التي شكلت المدن الرومانية . وفى مدن العصور الوسطى باوروبا أمثلة واضحة عن مدى الارتباط العاطفي بين الشعب والمدينة . فالعلاقات الانسانية القوية بين السكان أظهرت فى هذه المدن أمثلة حية فى العلاقات الحسية بين المباني والفراغات التي تتكون منها المدينة . وفى مدينة المنصور فى بغداد مثلا لمدى مركزية الحكم وتركيزه فى يد الحاكم مع ظهور الحرية المحدودة فى التخطيطات المختلفة لكل حي من احياء المدينة كما وضحت ظاهرة ارتباط السكان بالمدينة كذلك فى مدينة مثل القاهرة فمنذ الفتح الاسلامي حتى قاهرة الفاطميين كان كل والى او حاكم يبنى مدينته الخاصة داخل الاسوار الدفاعية ثم

ينشأ مسجده فى وسط المدينة لتصدر منه احكام الاسلام وتعاليمه . فنشأت العواصم الاسلامية فى مصر منفصلة بعضها عن البعض الآخر مما افقدها صفة الاستمرار والنمو العضوي الطبيعي فعلى انقاض مدينة كانت تقام مدينة اخرى وليس للشعب فى ذلك يد او توجيه . ومع تعرض المدينة العربية فى مصر بعد ذلك الى الفتوحات العثمانية

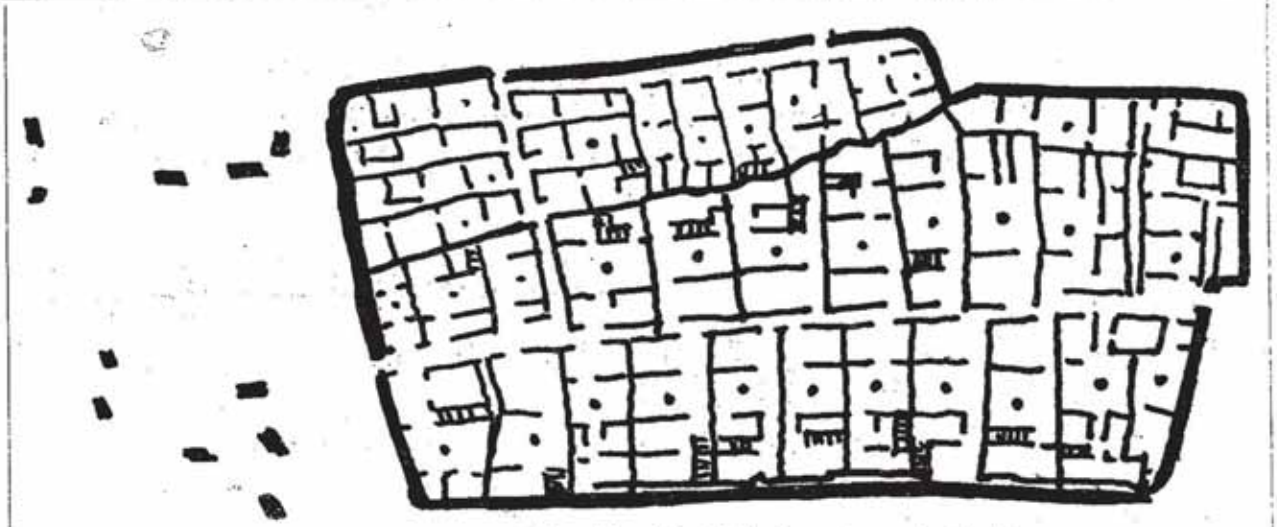

التحكم فى مجتمع قرية العمال الفرعونية ـ دير المدينة

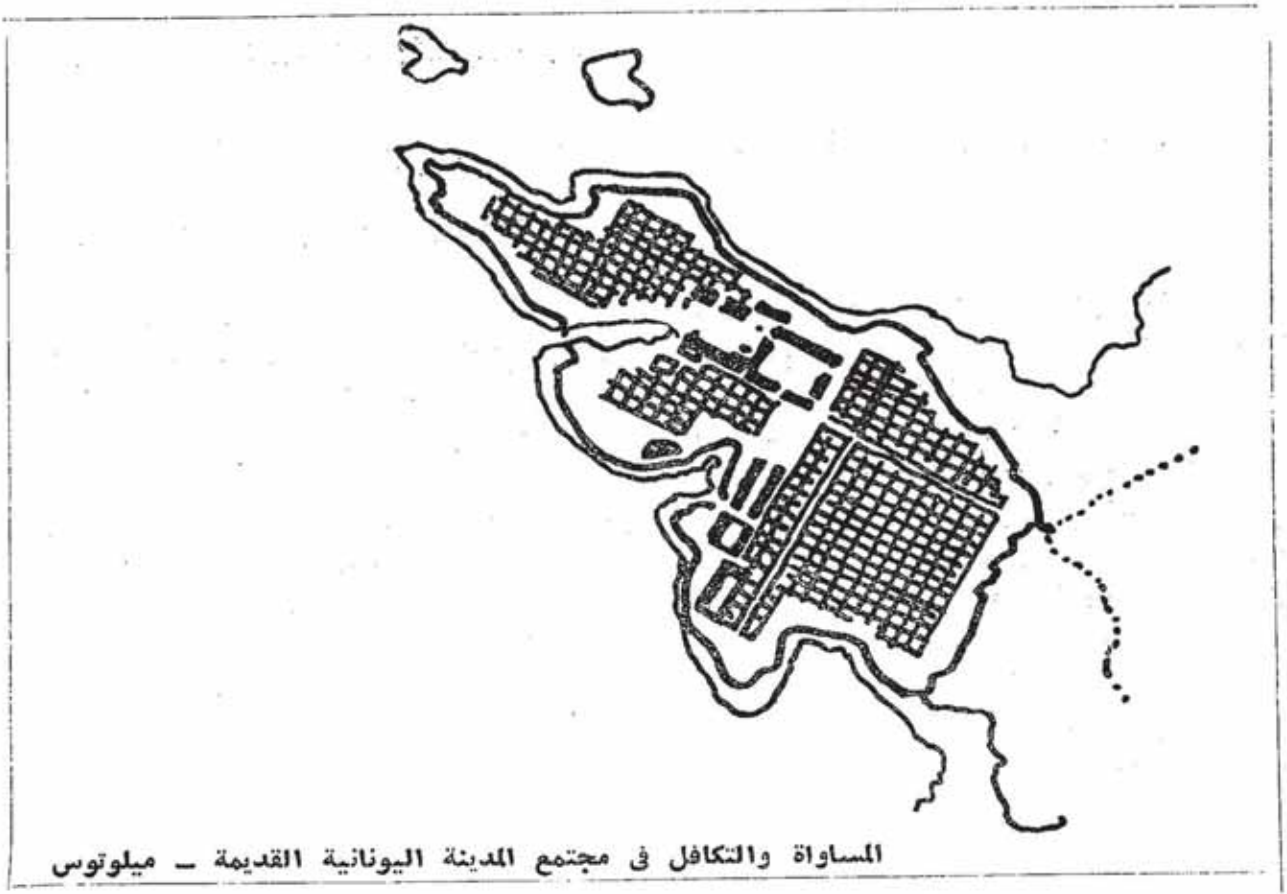

المساواة والتكافل فى مجتمع المدينة اليونانية القديمة ـ ميلوتوس

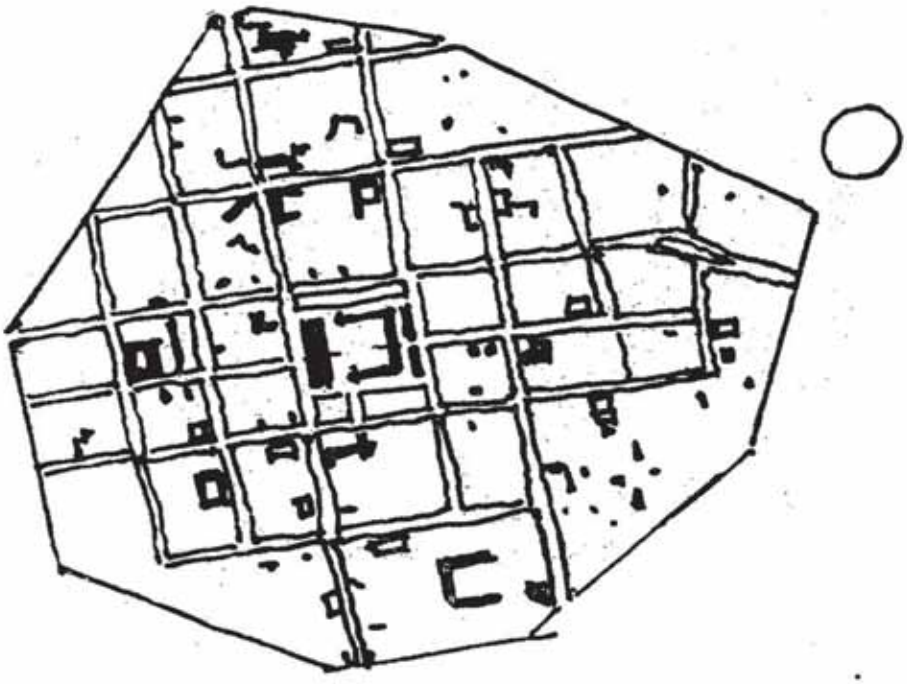

القانون العام ووحدات التقسيم فى المدينة الرومانية ـ سلتشستر

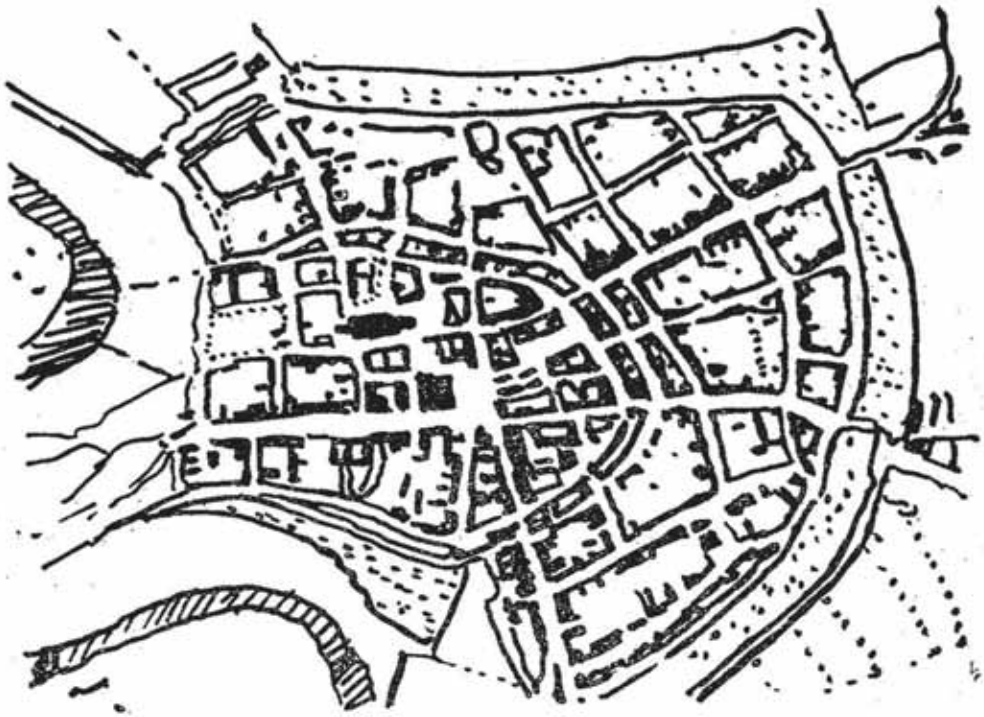

العلاقات الانسانية بين السكان وتكوين المدينة فى العصور الوسطى
مدينة روتنبرج

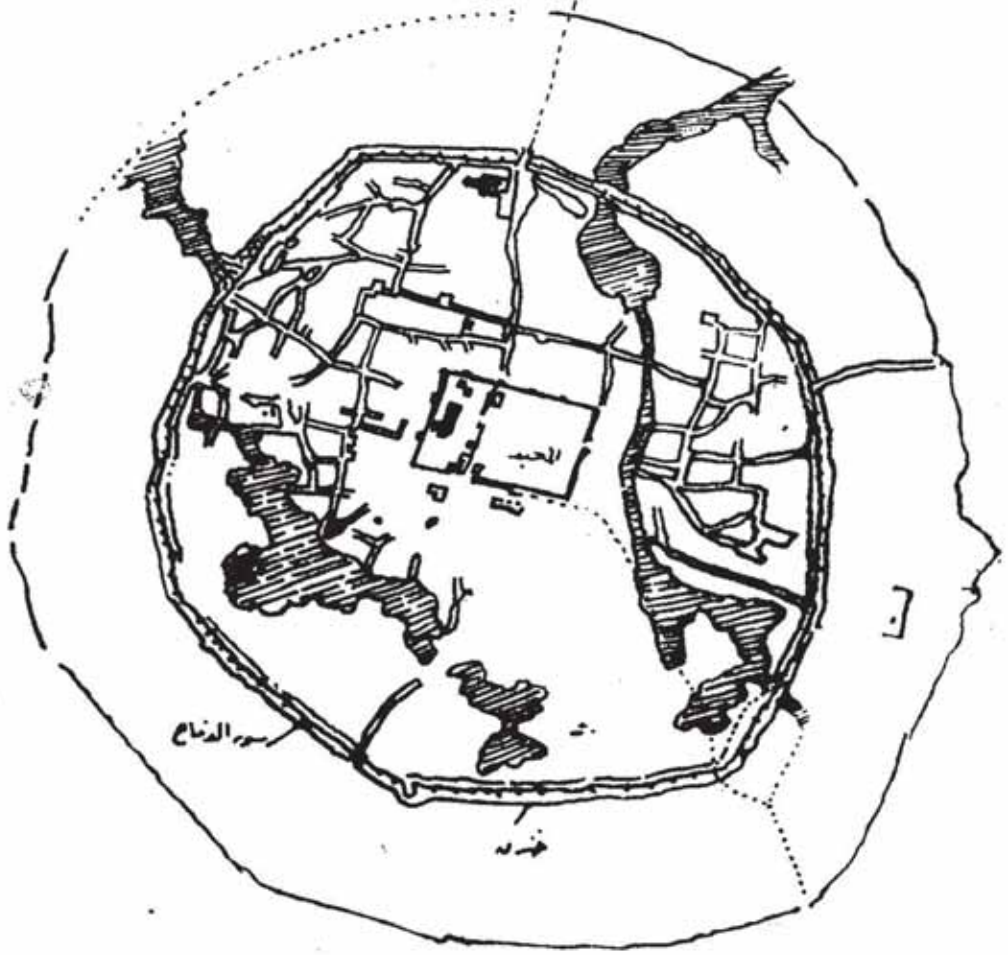

مدينة هادثر الدائرية فى القرن الاول الميلادى بالعراق

مدينة المنصور الدائرية فى العراق ـ عن كريزويل

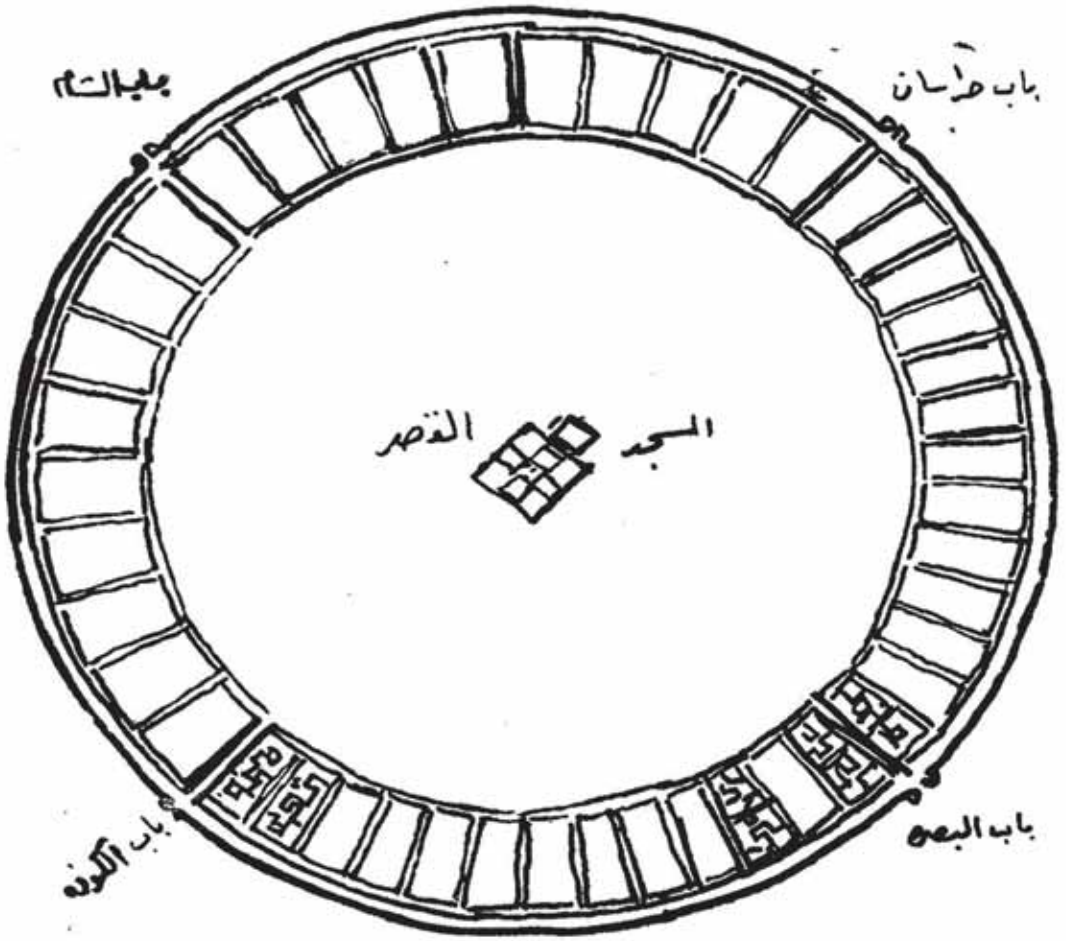

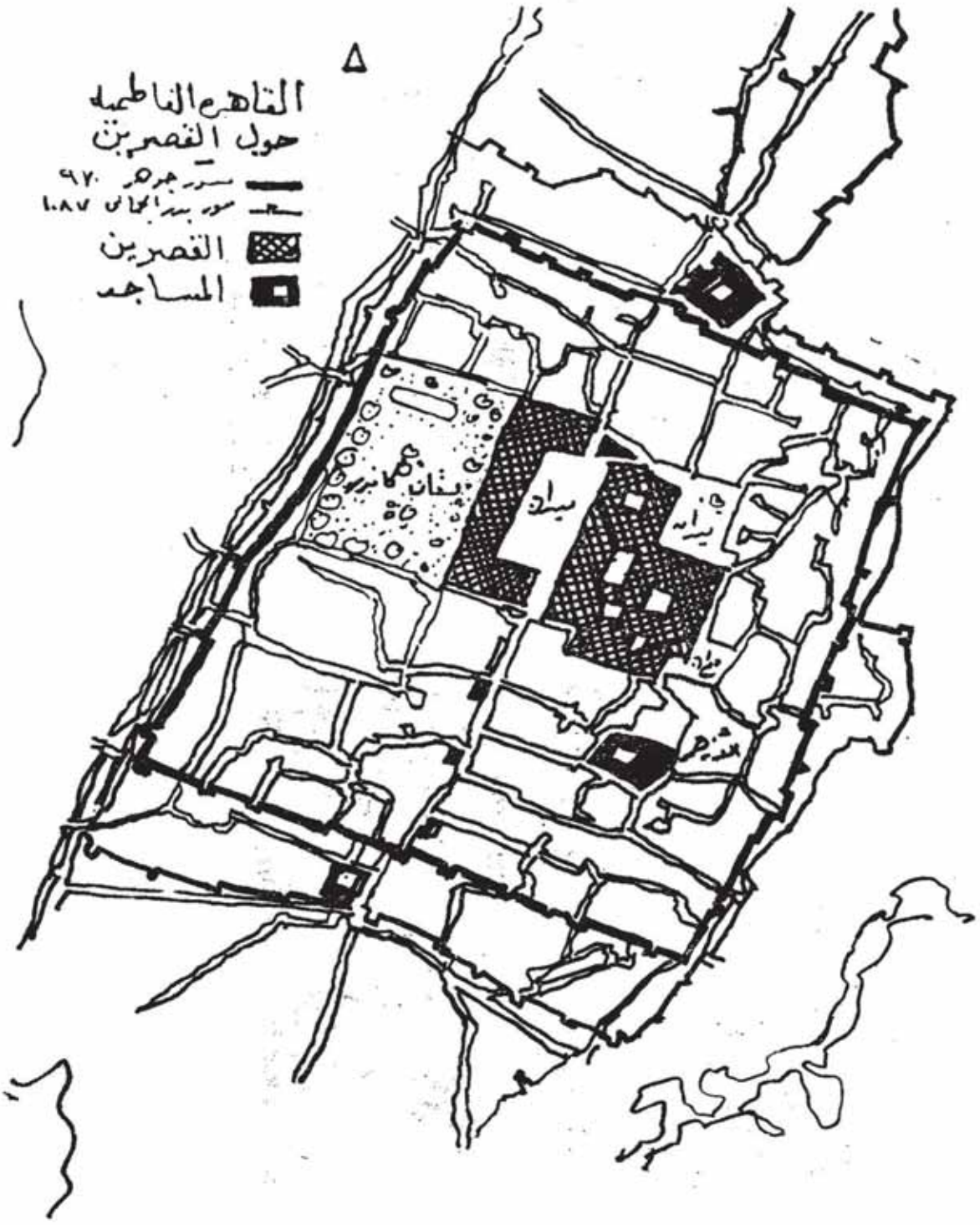

تكوين القاهرة المعزية حول قصرى الخليفة وليس حول الجامع الأزهر او المركز الديني للمدينة

فقدان الحياة من الخلية
السكنية من الهيكل
العام لمدينة الموصل

التكوين الدفاعي في
المدينة الآشورية
ـ بابليون

المدينة المراكشية القديمة صورة للتراث التخطيطي والحضارى

الظلال والافنية تعكس العوامل المناخية فى مدينة كاشان بايران

والفرنسية والبريطانية انفصل الحاكم عن المحكوم وانفصل نتيجة لذلك الشعب عن امور مدنه وانفصلت مجموعاته فى احيـــاء مقفلة وحتى بعـــد أن فتحت الابواب امامهم استمرت ظاهرة الانفصال العاطفي بين السكان والمدينة وهذه من اهم المشـــاكل الانسانية التي تواجهها المدينة العربية فى مصر بل وفى كثير من البلاد العربية الاخرى . ولم تعد المشكلة امام المخطط العربي هي توجيه نمو المدينة فى الطريق السليم فقط بل اصبحت المشكلة الاساســـية امامه هي تهيئة الظروف الاجتماعية والطبيعية التي تساعد على ارتباط السكان عاطفيا بمدنهم حتى يمكن لمخططاتها المستقبلة أن تتفاعل معهم وتنمو نموها العضوى السليم .

ومن خلال الخلفية التاريخية للمدن يمكن التعرف على الفترات الحضارية الهامة التي غرست جذورها القوية فى مقومات المدينة وحياة سكانها وحتى يمكن اللجوُ الى تحليل هذه المقومات واستخلاص النتائج التي يمكن بها ربط التراث الحضاري لهذه المدن بتخطيطها وعمارتها الحديثة . وهذا هو أحد اركان هذه الدراسة حيث اعتمد البحث على اقوى الفترات الحضارية التي مرت بها المدينة العربية وهي فترة العصر الاسلامي التي غرست جذورها الحضارية ليس فقط فى الكيان الطبيعي او التخطيطي والمعمارى للمدينة ولكن فى جزء كبير من الكيان الاجتماعي لسكانها . بالرغم مما تعرضت له هذه المدن بعد ذلك من حضارات غريبة عنها .

٢ ــ التطور العلمي والتكنولوجي :

تتطور النواحي العلمية والتكنولوجية التي توفر الاحتياجات المادية للانسان بمعدلات فائقة لا تكاد تدع للانسان فرصة لموازنتها باحتياجاته المعنوية والعاطفية وهذه من ابرز مقومات الحضارة الغربية التي تكاد تجرف امامها التيارات الحضارية الاخرى. والنواحي العلمية والتكنولوجية كذلك تؤثر على نسبة كبيرة من الوقت الذى يحياه الانسان داخل مسكنه او فى مقر عمله او فى مكان ترفيهه وفى الوقت نفسه على الحياة الخارجية للانسان وسلوكه فى حركته وتنقله بين سكنه ومقر عمله ومراكز خدماته المختلفة .

ولما كان التطور العلمي والتكنولوجي يسير بقوة كبيرة لا يمكن مقاومتها بالمقومات الانسانية والعاطفية للانسان فان الامر يستوجب فصـــل مســـار التقدم التكنولوجي عن مجال المقومات الانسانية والعاطفية للانسان وذلك فى محاولة لتوفير بعض التوازن بين المسارين فى حياة الانسان . فاذا كان أثر التطـــور العلمي والتكنولوجي يظهر فى الحركة الآلية للانسان كما أن أثر المقومات الانسانية يظهر فى الحركة الطبيعية للانسان فان الامر يتطلب الفصل بين الحركتين. واذا كان للحركة الآلية مقياس متغير فان للحركة الطبيعية للانسان مقياس يكاد يكون ثابت . وكلا المقياسين لابد وان يتقابلا فى التكوين الطبيعي للمدينة : وهذا اول ما يواجهه المخطط من تحديات فى تصميم المدينـــة التي نشأت فى الاصل على اساس المقياس الطبيعي للحركة الطبيعية للانسان وهذا ما تحاول هذه الدراسة معالجته فى المدينة المعاصرة . كما يظهر أثر التقدم العلمي والتكنولوجي فى مواد وعناصر الانشاءات ونظرياتها المتطورة وهذه اهم المشاكل التي يواجهها المعمارى فى محاولته لربط التراث الحضارى بالتقدم العلمي .

والتطور العلمي والتكنولوجي يرتبط مـــن ناحية اخـــرى بالمســـتوى المعيشى للانسان اى بمستوى ثقافته ومستوى دخله الامر الذى يؤكد معنى التكامل بين عناصر البيئة الثقافية .

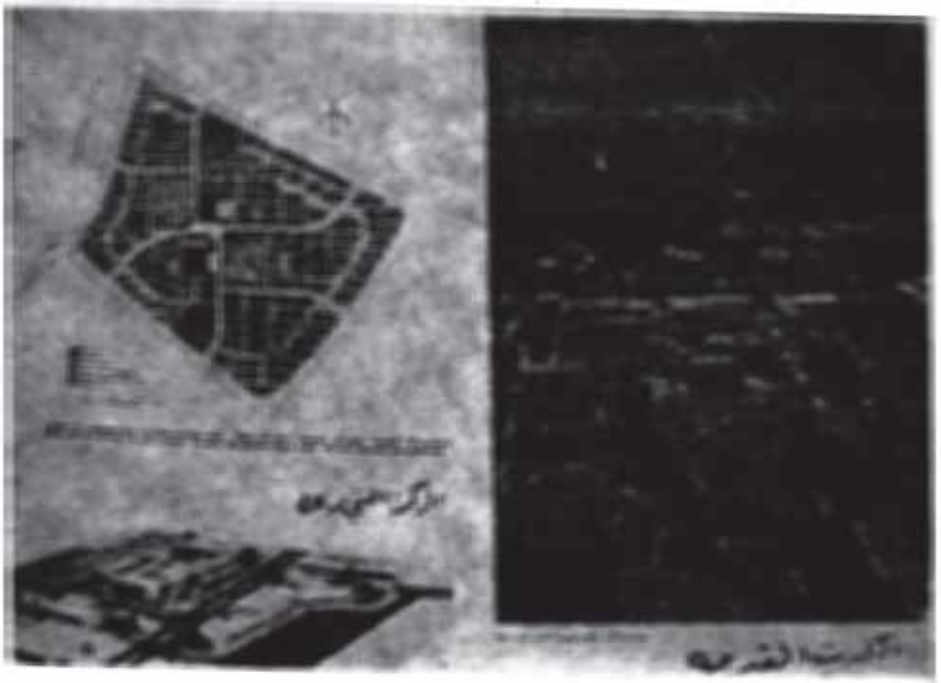

ـ ارتباط المدينة بالبحر فى الكويت القديمة

ـ التخطيط الحديث يجر حركة المرور الى داخل المنطقة السكنية عند المركز التجارى

٣ ـ المستوى المعيشى للانسان :

والمستوى المعيشى للانسان يتأثر من ناحية دخله كجزء من مستوى الدخل القومى للمجتمع الذى يعيش فيه كما يتأثر من ناحية اخرى بمستواه الثقافي . واذا كانت المستويات الثقافية للانسان تتفاوت فى المجتمعات النامية فهى تكاد تكون متقاربة فى المجتمعات المتقدمة الذى يصبح مستوى الدخل فيها هو اساس المقارنة للمستوى المعيشى للانسان . ويختلف الدخل القومي او الثروة القومية من مجتمع لاخر تبعا لا مكانيته الاقتصادية كما يختلف معدل تطورها من مجتمع لاخر تبعا لاختلاف معدل تطورهما العلمي والتكنولوجى . وهذا يؤكد تكامل العناصر المختلفة للبيئة الثقافية للمجتمع .

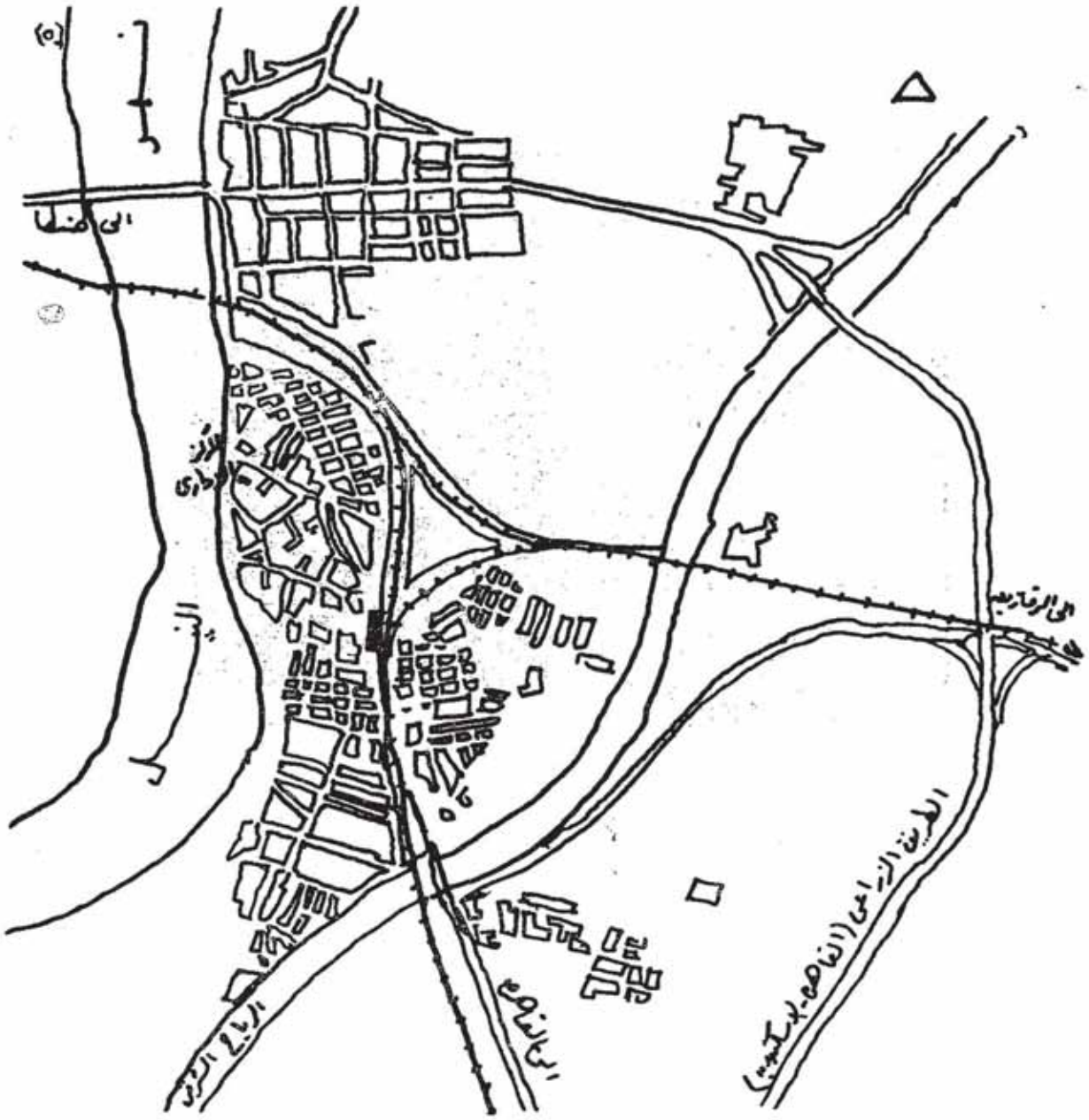

مدينة بنها ـ ج.ع.م ـ كمركز اداري نشأ على انقاض تجمعات سكنية قديمة
وقطعته شرايين المواصلات المختلفة ـ الحديدية والبرية والنهرية

٤ ـ العلاقات الانسانية :

وتظهر العلاقات الانسـانية بين الجماعات وبين الافراد فى المجتمع الواحد فى مدى ارتباط السكان بالانشطة الجماعية التي تضـمها المدينـة فى مبانيها المختلفـة ومنها مـا يأتى :ـ

١ ـ النشاط الاجتماعى الجماعى : الذى يظهر فى افراح المجتمع واتراحه او فى حفلاته ولقاءاته المحلية .

٢ ــ النشاط التجارى الجماعى : فى الاسواق او فى المعاملات التجارية التى كانت من اهم مقومات وسط المدينة الاغريقية .

٣ ــ النشاط السياسي الجماعى : والذى يظهر فى مدى ارتباط المجتمع بديمقراطية الحكم والالتزام بالقانون والنظام ورأي الجماعة وحرية التعبير فى اللقاءات السياسية والتى كانت من اهم مقومات وسط المدينة الرومانية .

والعلاقات الانسانية ترتبط من ناحية بالمقومات الاقتصادية للمجتمع كما تربط من ناحية اخرى بمقاوماته الثقافية والتعليمية وكلاهما يتغير بتغير موارد الثروة القومية للمجتمع كما أن كلاهما يتاثر بالموجات الحضارية التى يتعرض لها المجتمع على مر التاريخ وهذا يؤكد التكامل بين عناصر البيئة الثقافية وان كان للبيئة الطبيعية والمناخية اثرهما فى هذا المجال .

والعلاقات الانسانية من جهة اخرى تتاثر بالمقومات العلمية والتكنولوجية للمجتمع وبمدى ارتباط الانسان بالآلة او انفصاله عنها . ويتضح ذلك فى ظهور التكوينات الاجتماعية الصغيرة فى المجتمعات الصناعية وكذلك التكوينات الاجتماعيه الكبيرة فى المجتمعات اليدوية او فى المجتمعات الزراعية المختلفة . كما يظهر أثر التقدم التكنولوجى على الانسان فى طريقة تحريك الجماهير فى مختلف المجتمعات ومدى اشتراكهم فى تسيير امور مدنهم وقراهم وهو ما يعبر عنه بنظام الحكم . ولما كانت المقومات العلمية او التكنولوجية للمجتمع تتطور مع الزمن فان العلاقات الانسانية لهذا المجتمع تلحق بدورها هذا التطور وان تخلفت عنه فى معدل التغير . وهذا ايضاح اخر لمدى تكامل العناصر المكونة للبيئة الثقافية للمدينة .

٥ ــ التقاليد والعادات :

ويظهر سلوك المجتمعات فى التقاليد والعادات المرتبطة بها بسبب ما ترسب لديها من اثار الحضارات التى مرت بها على مر العصور . وهذا ما يعطى هذه المجتمعات خصائص مميزة تظهر فيها جوانب الانسانية التى يمكن الالتجاء اليها لا براز تراثها الحضارى .

ويختلف مدى ارتباط المجتمعات بالتقاليد والعادات بمدى تأثرهم بالحضارات المتعاقبة سواء منها الحضارات المحلية او الخارجية . كما يختلف مدى ارتباط هذه المجتمعات بالتقاليد والعادات بمدى تأثر هذه المجتمعات بالتطورات العلمية والتكنولوجية التي سادت العالم بعد الثورة الصناعية والتي ساعدت على ايجاد نوع من الاندماج الحضارى فى العالم واذا كان بعض العلماء يتكهنون باكتمال هذا الاندماج فى المستقبل القريب او البعيد الا ان سنة الله فى خلقه قد تحول دون ذلك وتستمر شعوب الارض وقبائلها محتفظة بكيانها الحضارى وان تعارفت وتعاونت .

واذا كانت التقاليد والعادات ترتبط بما ترسب لدى المجتمعات من اثار الحضارات المتعاقبة فهى بدورها تنعكس على المراحل المتعاقبة لنمو المدينة . وقد يكون ارتباط كل مرحلة بالاخرى ارتباطا طبيعيا فى حالة ما اذا نشأت المدينة فى بيئات حضارية محلية كما هو الحال فى المدينة الغربية اذ يوجد هناك ارتباط يكاد يكون طبيعيا بين المدينة القديمة والمدينة الحديثة . وقد يكون ارتباط كل مرحلة بالاخرى ارتباطا شكليا فى حالة ما اذا نشأت المدينة فى بيئات حضارية خارجية كما هو الحال فى مدن الدول النامية اذ يوجد هناك انفصال يكاد يكون كاملا بين المدينة القديمة والمراحل التالية التي مرت بها المدينة على مر العصور . ويمكن للمرء بذلك استقراء تاريخ المدينة

فى مراحلها المختلفة. ففى القطاع الرأسى لمدينة القاهرة من شرقها الى غربها يمكن للمرء ان يستقرء تاريخ المدينة العريقة منذ الفتح الاسلامي الى الفتح العثماني ومن الاحتلال الفرنسي الى الاحتلال البريطاني . ليس فقط فى الكيان الطبيعي لاحيـاء المدينة المختلفة او فى مبانيها ومرافقها العامة ولكن ايضا فى حياة الفرد وتقاليده وفى ماكله وملبسه بل وفى علاقته الانسانية وتكويناته الاجتماعية . وهنـا يصبح التحدى اكثر قساوة بالنسبة للمخطط او المعمارى الذى يحاول ربط المدينة بتراثها الحضارى .

٦ ـ الـــدين :

والدين يعتبر منبع الاحتياجات الروحية والمعنوية للانسان . فهو بذلك يمثل ثقل التوازن بين هذه الاحتياجات والاحتياجات المـادية للانسان وان كان الدين فى بعض الاحيان ينظم الاحتياجات المادية ويوازنها مع الاحتياجات الروحية وذلك فى سبيل خلق الانسان الكامل والمجتمع الكامل ومن ثم خلق المدينة الكاملة .

لقد كانت الكنيسة فى الماضى تمثل مركز الثقل الطبيعي فى تكوين المدينـة فى العصور الوسطى فى اوروبا كما كانت تمثل فى نفس الوقت مركز الثقل او محور الالتقاء الروحى المعنوى لسكانها وهى بذلك كانت توفر التوازن بـين احتياجات الانسـان الروحية واحتياجاته المادية التي تضمها مباني فى اتحادات التجار والصناع وتظهر فى المراكز التجارية حول الساحات العامة ومعها دار المدينة كمصدر للسلطات .

والمسجد فى المدينة الاسلامية كان يمثل مركز الالتقاء الروحى والثقافي للسكان كما كان يمثل فى نفس الوقت مصدر السلطات حيث تلقى فرمانات الولاه وان كان فى بعض الاحيان تلحق به بعض الخدمات الصحية الاجتماعية . وساحة المسجد الداخلية كانت مقرا لتجمعات السكان لممارسة انشطتهم الاجتماعية الجماعية . كما كانـت ملتقى للجماهير لتتلقى توجيهات الحاكم او الوالى . وليس فى المشاركة الايجابية فى تسيير امور مدينتهم . واذا كانت سـاحة الجامع الخارجية تشهد بعض النشاط التجارى الجماعي الا ان المحلات التجارية الثابتة اخذت بعد ذلك تنفصل عن الساحة وتمتد على طول الشوارع التجارية . وفى نفس الاتجاه امتدت تجمعات السكان وأصبح الشارع يمثل العمود الفقرى للنشاط التجارى والاجتماعى للاحياء المختلفة من المدينة وبعد ذلك جذب اليه انواعا اخرى من الانشطة الادارية الترفيهية واصبحت وظيفة المسجد بعد ذلك قاصرة على الشعائر الدينية كما ارتبط فى كثير من الاحيان باسم منشئه وبانيه من ذوى الورع والتقوى وفقد بعد ذلك كيانه الاول فى تخطيط المدينة .

ويختلف ارتباط المجتمع بمراكزه الدينية والروحانية باختلاف ارتباطهم بالماديات التي اوجدها التقدم العلمى والتكنولوجي . فالمجتمعـات المتحضرة تستطيع موازنة احتياجاتها المادية بتوفير الاحتياجات المعنوية اللازمة لها . اما المجتمعات الفنية والتى ليس لها جذور عميقة من الحضارة فتحاول البحث عن مصادر جديدة لتوفير النقص الذى لديها فى الاحتياجات العاطفية والروحية وهى فى ذلك تعتمد على الجذور الحضارية لاصل الانسان الحديث فيها .

وهكذا تصبح المراكز الدينية احدى المقومات الاساسية للتراث الحضارى الذى يعتمد عليها المخطط فى اعادة تخطيط المدينة القديمة او فى تخطيط المدينة الحديثة .

انفصل النشاط الجماعي من حول الجامع وامتد على طول الشارع التجارى

الشارع التجارى عصب الحى فى المدينة القديمة
شارع سوق الخيامية بالقاهرة ١٩٠٥

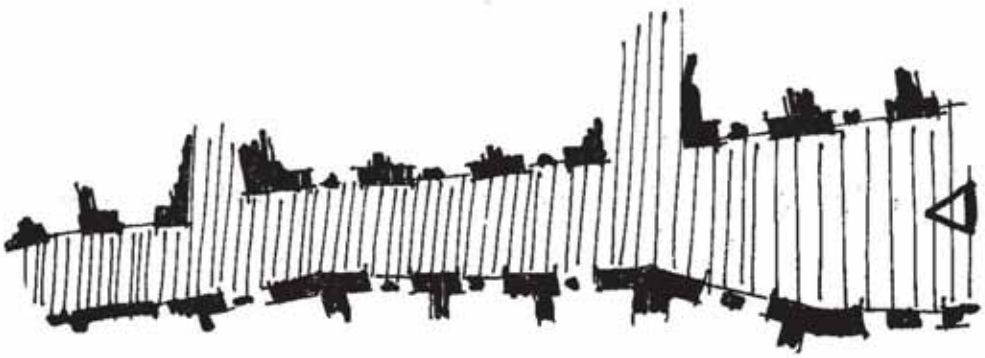

المسقط الافقي للشارع

الشارع عصب الحياة فى المدينة القديمة
شارع درب الجماميز ـ القاهرة

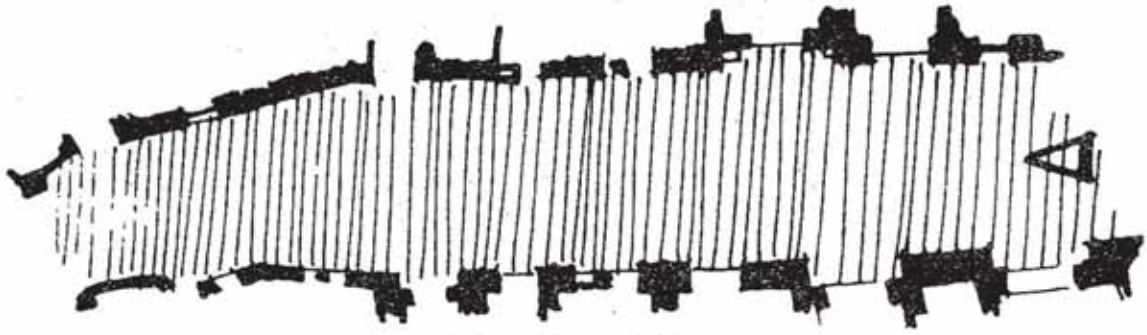

المسقط الافقى للشارع

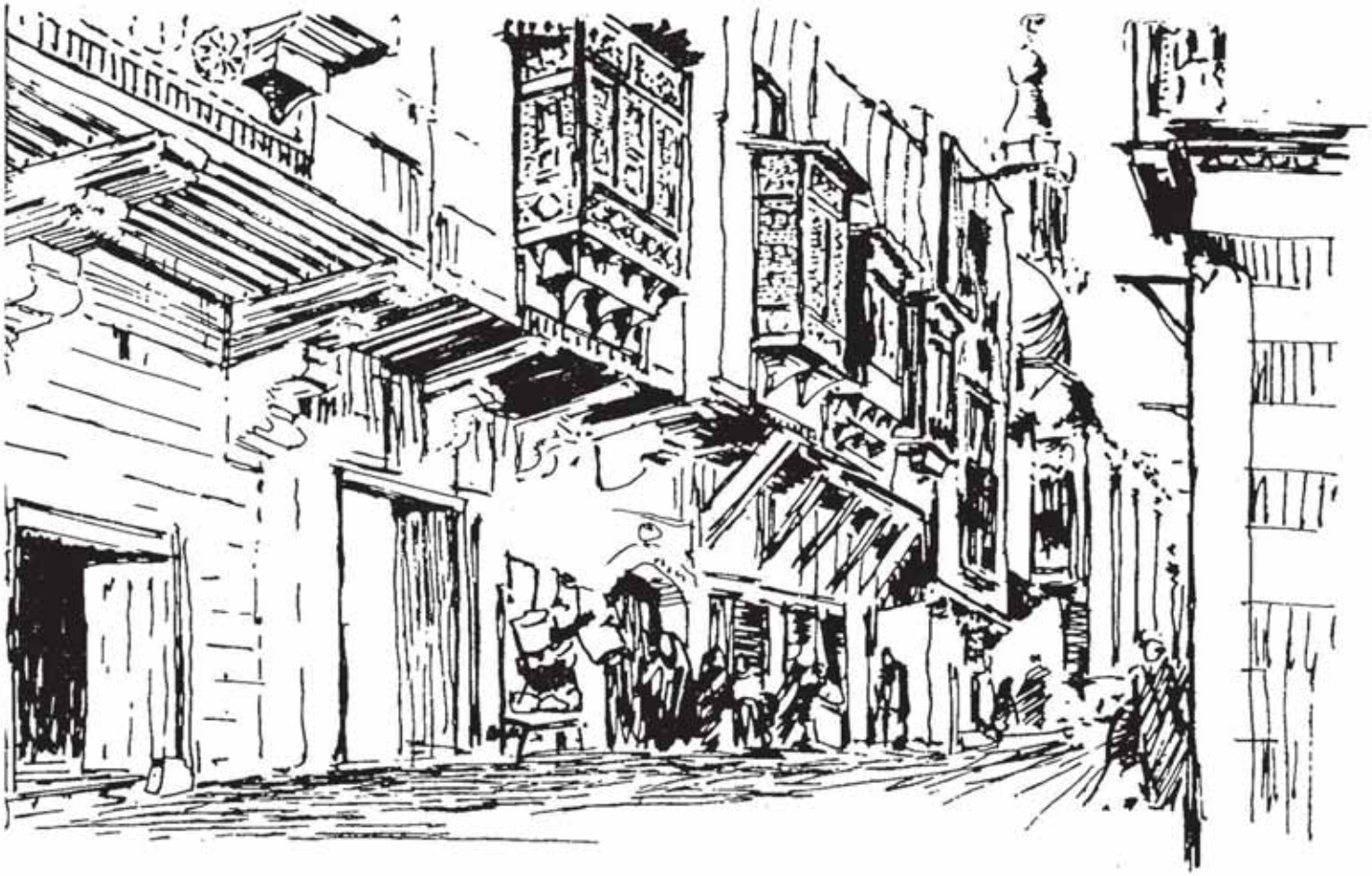

الشارع عصب الحى فى المدينة القديمة
شارع باب الشعرية ـ القاهرة ١٩٠٥

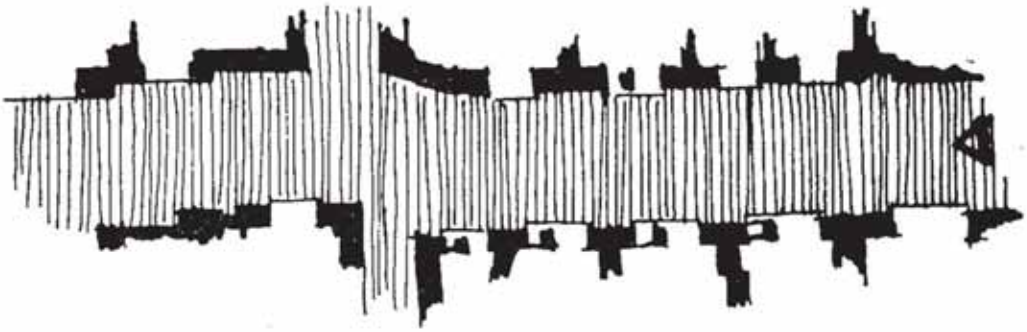

المسقط الافقى للشارع

مقومات البيئه الطبيعيه للمدينـــه :

اما البيئة الطبيعية فهى الشق الثابت من البيئة العامة التى تنمو فيها المدينة وتشتمل البيئة الطبيعية على العناصر الاتية :ـ

١ ـ طبيعة الارض :

وطبيعة الارض تتمثل فى السهل الاخضر او السهل الصحراوى او ما كان منها المرتفع ذو الطبيعة الجرداء الجامدة او ذو الطبيعة الخضراء اليانعة . ولا تنعكس طبيعة الارض فقط على الشكل العام للمدينة الذى تحدده شبكات الطرق والممرات

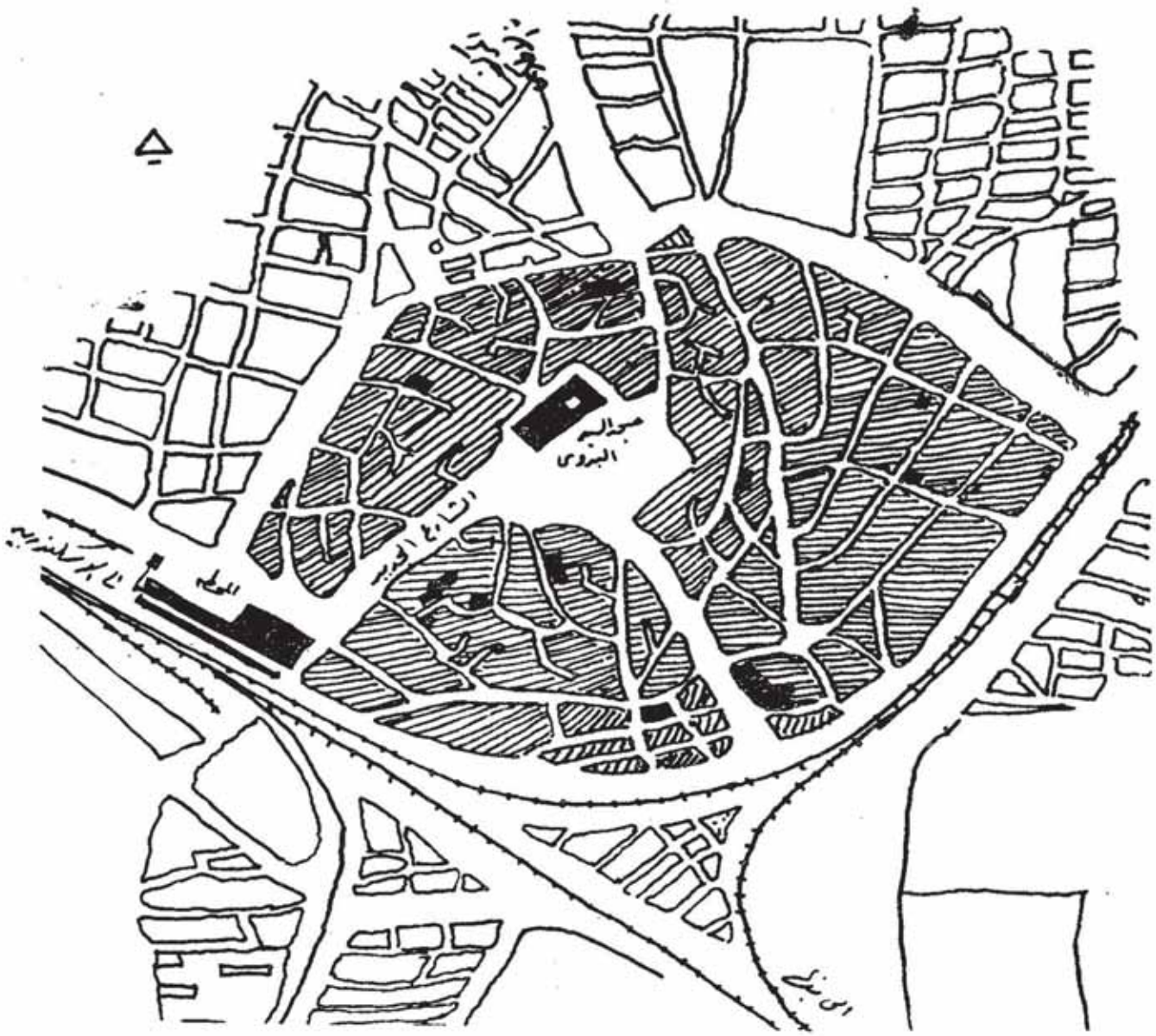

مركز مدينة طنطا ـ ج.ع.م ـ صورة من مدن العصور الوسطى تتجمع الحياة فيه حول المسجد كمركز ثقل التكوين العام للمدينة

التى تتابع تضاريس الارض ولكنها فى نفس الوقت تنعكس على التعبير المعمارى لمواد البناء المحلية كما فى تعبير البناء بالحجر فى المدينة الاردنية او فى تعبير البناء بالطابوق فى المدينة العراقية . وتنعكس طبيعة الارض كذلك على التعبير المعمارى لاتجاه الحياة فى المبانى المختلفة للمدينة سواء اكان الى الداخل كما فى المدن الصحراوية او الى الخارج كما فى مدن المرتفعات ذات الخضرة الدائمة . ويظهر هذا التأثير كذلك فى اتجاه الفتحات للمبانى فتبدو راسية فى المدن الصحراوية وافقية حيث تتجه الحياة الى الخارج .

واذا كانت طبيعة الارض تختلف من منطقة الى اخرى فتشكيل المدينة وعمارتها بالتالى تختلف باختلاف هذه المناطق اللهم الا اذا تعرضت هذه المناطق الى التشكيلات المدنية او المعمارية المستوردة من البيئات الاخرى .

٢ ـ العوامل المناخية :

والظروف المناخية تتمثل فى درجات الحرارة والرطوبة وفى حركة الشمس وميولها وفى كميات الامطار ومواسمها وسرعة الرياح واتجاهاتها . وهذه عوامل ثابتة لكل اقليم تحرك توجيهات المبانى ومجموعاتها التخطيطية . كما توحى بالمعالجات المعمارية لتوجية حركة الهواء او الفتحات الخارجية للمبانى او لمواد البناء التى تناسب اى من هذه الظروف المناخية . وقد تكون هذه اما معالجات طبيعية صادرة من البيئة المحلية او معالجات صناعية صادرة من البيئة التكنولوجية . وقد ظهرت كثير من هذه المعالجات فى العمارة الاسلامية كما فى ملاقف الهواء والمشربيات او فى معالجة الفتحات كما ظهرت كذلك فى هذا المجال كثير من البحوث والدراسات العلمية التى تعالج تأثير الظروف المناخية على العمارة فى المناطق المناخية المختلفة فى العالم .

ولما كانت عناصر البيئة الطبيعية هى الشق الثابت للبيئة العامة وتميز مختلف الاقطار والامصار وتؤثر تأثيرا مباشرا على العمارة والتخطيط فيها فهى بذلك تمثل الاساس الاول الذى يلجا اليه المعمارى والمخطط فى رسم البيئة الطبيعية للمدينة محاولا فى ذلك الاعتماد على المعالجات الطبيعية حتى يؤكد الشخصية المحلية للمدينة مع الاستعانة بما يوفره له التقدم العلمى والتكنولوجى من طرق للانشاء او مواد مستحدثة للبناء .

التغير فى المقومات الحضـــاريه :

والتخطيط للمستقبل يعتمد اساسا على معرفة معدلات التغير فى العناصر المختلفة المكونة لكل من البيئة الثقافية او البيئة الطبيعية للمدن حتى يمكن على ضوء قياس هذه المعدلات التبصر بمستقبل هذه المدن ويأتى فى المقدمة معدل التغير فى المستوى المعيشى للانسان كما يلى ذلك وبالتبعية معدل التغير فى العلاقات الانسانية بين الجماعات ثم معدل التغير فى التقاليد والعادات ومدى ارتباط الناس بدينهم .

ومن ناحية اخرى نجد ان معدلات التغير فى عناصر البيئة الطبيعية التى تنمو فيها المدن تكاد تكون منعدمة بالنسبة للظروف الطبيعية والمناخية وان كانت تزيد قليلا بالنسبة لمواد البناء الطبيعية ثم يزيد معدل هذا التغير اكثر بالنسبة لمواد البناء الصناعية التى ترتبط بالتقدم العلمى والتكنولوجى .

ومع التطور الطبيعى او العضوى للمدن على مر العصور نجد ان هناك دائما خيطا واضحا يربط بين عناصر البيئة الثقافية والبيئة الطبيعية وهذا هو الخيط الواضح للبيئة الحضارية التى تعيش فيها هذه المدن اللهم الا اذا تعرضت هذه المدن الى صدمات قوية او ضربات قاصمة فى فترات التاريخ المختلفة قد تقطع هـذا الخيط فترات محدودة من الزمن تطول او تقصر تبعا لقوة ارتباط السكان بمدنهم ومقاومتهم للحضارات الغربية عنها . وهكذا قد تطول فترة التئام هذا الخيط او تقصر تبعـا لعمق التراث الحضارى عند سكان هذه المدن .

الاستمرار الحضـارى فى العالم العربـى :

هكذا نجد فى التحليل السـابق لبيئة المدينة مدخـلا علميا للبحث عـن ربط التراث الحضارى بتخطيط المدن المعاصرة وعمارتها الحديثة . وقد جاء هذا التحليل مسبقا لمجريات البحث حتى تكون عناصره ماثلة امام كل مرحلة من مراحل الدراسة وذلك حتى تتأكد النظرة المتكاملة كأهم مقومات الدراسات التخطيطية .

واذا رجعنا الى جذور الحضارات المختلفة للمنطقة العربية وجدنا امامنا حضارتين رئيسيتين ظهرتا على ضفاف نهرى الدجلة والفرات فى الشرق ونهر النيل فى مصر . فقد اشرقت الحضارة فى منطقة بين النهرين منذ اكثر من ٥٠٠٠ عاما فى سومر وشهدت المنطقة اول ساكنى الحضر فى التاريخ فمن حضارة الكليين منذ ٤٠٠٠ عاما قبل الميلاد واستمرت اكثر من ٢٧٠٠ عاما الى حضارة الاشوريين منذ ١٢٧٥ قبل الميلاد واستمرت اكثر من ٧٠٠ عاما ثم الحضارة الفارسية منذ ٥٣٨ قبل الميلاد واستمرت حوالى ٦٠٠ عاما الى ان ظهرت الحضارة الاسلامية فى عهد الامويين منذ عام ٦١١ حتى عام ٧٥٥ وازدهرت هذه الحضارة فى عصر العباسيين من عام ٧٥٠ واستمرت زهاء ٥٠٠ عاما .

وعلى ضفاف النيل ظهرت الحضارة الفرعونية منذ اكثر من ٥٠٠٠ عاما وامتدت جذورها العريقة بفنونها وعلومها الى ان اتصلت بالحضارة الاغريقية ثم الحضارة الرومانية فى الغرب وتركت بها كثيراً من مقوماتها وقد تعرضت هذه الحضارة فى نهايتها الى غزو الهكسوس الذى استمر وقتا ليس بالقصير اندثرت فيها حضارة النيل وتعرضت المنطقة الى الحضارات الاغريقيـة ثم الرومانية الذين اتخـذت الاسكندرية عاصمة لها ، الى ان دخلت الحضارة الاسلامية ارض الكنانة وبنى عمر ابن العاص مدينته الاسلامية الاولى فى القطائع عام ٦٤٢ ثم مدينة العسكر التى بناها العباسيون عام ٧٥١م شمال الفسطاط ثم احمد بن طولون ليبنى القطائع ومسجده الشهير عام ٨١٠م شمال العسكر ثم جاء جوهر الصقلى ليبنى القاهرة فى يوليه عام ٩٦٤ شمال القطائع الى ان جاء حكم المماليك وانتهى بالحكم العثمانى .

وبالرغم من ظهور الحضارة الاسلامية فى كل من منطقة ما بين النهرين والنيل وما تركته فى شعوب المنطقة العربية باسرها من اثار عميقة سواء فى الدين واللغة او فى التقاليد والعادات ومن ثم فى تخطيط المدن وعمارتها . الا ان للحضارتين القديمتين استمرارهما الحضارى فى بعض جوانب الحياة فى كلا المنطقتين كما استمرت عناصر البيئة الطبيعية لكلا المنطقتين تؤثر على العمارة القديمة فى كل منهما ثم استمرت نفس هذه العناصر تؤثر على العمارة الاسلامية فيما بعد . ومع ذلك اختلفت مخططات المدن فى كل من الحضارتين القديمتين عنها فى الحضارة الاسلامية وذلك نظرا للتطورات الجذرية فى العلاقات الانسانية وفى القيم الحضارية التى خلقتها الحضارة الاسلامية .

من التراث الاشورى الى التراث الاسلامـــى :

ففى حضارة بابل واشور امثلة من العمارة الاشورية المميزة بالقوة والصلابة وذلك فى امثلة القصور والمعابد التى اقيمت على مستويات مرتفعة عن سطح الارض تغيرت مناسيبها كما اشتهرت هذه الفترة بالحدائق المعلقة وانتشرت فيها الابراج والزاجورات . وفى العمارة الاشورية ظهرت اثار العوامل المناخية فى افنية المساكن والمبانى العامة كما ظهرت اثار العوامل الطبيعية فى استعمال الطابوق والكاشى كمواد للبناء .

وكان للبيئة الثقافية اثارها فى سيطرة الحاكم وانفصاله عن المحكوم فاقيمت حول قصره الحوائط الدفاعية السميكة كما اقيم حول مدينته نفس العناصر الدفاعية

وكانت الخطوط المستقيمة المتعامدة فى تخطيط المدينة اثر من اثار السيطرة والتسلط على مقومات المدينة وسكانها .

وقد استمرت بعض اثار هذه الحضارة التى انعكست بعد ذلك على العمارة الاسلامية فالعوامل المناخية ظهرت اثارها كذلك فى افنية القصور مثل قصر الخاقانى الذى بناه المعتصم فى سامراء وقصر الاخيضر الذى انشا على بعد ١٢٠ ميلا فى الصحراء جنوبى بغداد كما ظهرت اثار العوامل الطبيعية كذلك فى استعمال الطابوق فى البناء . واستمرت بعض الخطوط التى تربط معالم الحضارتين واضحة كما فى تأثير الزاجورات والابراج الاشورية على المآذن الاسلامية والملويات كما فى مأذنة ابى دلف فى سامراء ــ اما اثار البيئة الثقافية التى تغيرت فقد ظهرت اثارها فى نظام الحكم والعلاقات الانسانية بين الجماعات فمركزية الحكم ظهرت اثارها فى التخطيط الاشعاعى لمدينة المنصور (٧٧٠م) حيث يقف مبنى الحاكم فى وسط المدينة التى تشع منه الشوارع المركزية لتصل الى الاجزاء المختلفة من المدينة وتتصل فى نفس الوقت بمجموعة من الشوارع الدائرية مقسمة بذلك المدينة الى اجزاء واحياء مختلفة ظهر فيها الاستقلال الذاتى فانعكست حرية الحركة فيها على التلقائية فى اتجاهات الشوارع كما انعكست على التكوينات المعمارية للمبانى فظهرت الاسواق حيث كان يمارس السكان احد انشطتهم الجماعية فى البيع والشراء .

من التراث الفرعونى الى التراث الاســـلامى

اما الحضارة الفرعونية فقد ارتبطت اكثر ما ارتبطت بامور العالم الاخر وانعكس ذلك على ما خلقته هذه الحضارة فى العديد من المعابد والمقابر التى شاهدت اوج الفنون التشكيلية فى هذا العصر . ولم يبق لهذه الحضارة من اثار الامور الدنيا الا القليل الذى يمكن به قياس مقومات المدينة فى هذا العصر . فامور الحكم كانت فى ايدى الملوك ثم الامراء والكهنة اما باقى افراد الشعب فكان يعمل فى بناء متطلبات الحكام مـــن القصور والمعابد والمقابر . وان كان هذا العصر قد شاهد تقدما كبيرا فى العلوم والفنون الا ان اثاره كانت قاصرة على الطبقة الحاكمة ولم تنزل فى معظم الاحيان الى مستوى الجماهير . ومع ذلك فقد تركت البيئة الطبيعية اثارها فى البناء الفرعونى حيث وجدت الافنية الداخلية فى المساكن كما استعملت الاسقف المرتفعة كالملاقف تغطى الابهاء الوسطى للمبانى . وكان انعكاس البيئة الطبيعية واضحا فى استعمال الحجر

كمادة اساسية للبناء تحكمت فى طرق الانشاء . اما البيئة الثقافية فقد تركت اثارها فى الاعتماد على القيم الروحية والمؤثرات الكونية فى تصميم المعابد والمقابر . فقد كانت المراحل التى بنى بها معبد الاقصر تعكس مراحل نمو الانسان كما ان بناء معبد ابى سنبل فى اقصى الجنوب من الوادى قد ارتبط بحركة الشمس ودورة الحياة الكونية .

وكانت المدينة فى هذا العصر مرتبطة باحتياجات الحاكم اكثر منها ارتباطا بحياة الجماهير . فمدينة تل العمارنة لم تبن الا لتكون مقرا لاخناتون الذى قام بثورة دينية استقر بعدها على الضفة الشرقية من النيل فى مكان له مميزاته الطبيعية والدفاعية واختط لنفسه مدينة ارتبطت حياتها بحياته فلم تستمر غير سبعة عشرة عاما هى مدة حكمه . اما غيرها من المدن مثل قرية كاهون التى بنيت لفرض واحد لتضم العاملين فى بناء هرم سيزوستريس فكانت صورة لنظام الحكم الفردى وللعلاقات الانسانية بين الطبقات التى انعكست فى الفصل بين التكوينات الاجتماعية لكبار العاملين والعمال الذين كان يضمهم جميعا سور واحد للحراسة وليس للدفاع . وكان فى شبكة الطرق الداخلية بخطوطها المستقيمة والمتعامدة تعبيرا عن العمل الفردى والسيطرة على باقى الافراد . وتكررت نفس الصورة فى قرية العمال فى تل العمارنة وان اختلفت تفاصيلها حيث كانت تضم طبقة واحدة من العمال الذين كانوا يعملون فى حفر مقابر الملوك والامراء فى الهضبة الشرقية الجنوبية من المدينة تحت نظام محكم ورقابة دائمة من المتصرف على القرية .

وفى كلا الحالتين لم يكن لسكان كاهون او قرية تل العمارنة امر فى تسير مجتمعهم فانعدمت الساحات والمبانى المركزية العامة . وبنفس التعبير بنيت قرية دير المدينة وان اختلفت فى خطوطها الطبيعية وتقسيماتها الاجتماعية فقد ساعدها على ذلك استمرارها ٤٠٠ سنة تضم العاملين فى بناء المقابر فى وادى الملوك فى الضفة الغربية لمدينة طيبة بالاقصر .

ومع اختلاف مقومات الحضارة الفرعونية عن مقومات الحضارة الاسلامية فقد تكرر نفس ماتكرر بين معالم الحضارة الاشورية والحضارة الاسلامية . فاستمرت العوامل المناخية التى تحكمت فى البناء الفرعونى تتحكم فى البناء الاسلامى فالفناء الداخلى والبهو المرتفع مظاهر مشتركة . كما ظهر امتداد لاثار العوامل الطبيعية فى استعمال الحجر كمادة للبناء وان اختلفت طرق الانشاء فى كلا الحالتين . اما اثار البيئة الثقافية المتغيرة فقد اختلفت فى العصر الاسلامى عنها فى العصر الفرعونى وذلك لاختلاف القيم الحضارية والاجتماعية واختلاف العلاقات الانسانية بين الجماعات فمركزية الحكم اوجدت المسجد فى مكان مركزى فى بعض المدن الاسلامية فى مصر ثم اخذت الشوارع والطرقات تنمو فى اتجاهاتها الطبيعية او التلقائية واستمرت الحياة الجماعية تنمو على جوانبها كما كانت الاسوار حول المدينة الاسلامية تقام لفرض الدفاع وليس لفرض الحراسة . كما ظهر فى المدينة الاسلامية الاستقلال الداخلى والاجتماعى لاحيائها المقفلة او الخطط التى امتدت الحياة فيها على طول الدروب والحارات . ومع ذلك لم يكن لسكان هذه الاحياء كل مقومات الحكم الذاتى ولذلك لم تظهر الساحات او المبانى المركزية لكل من هذه الاحياء وان كانت المساجد والاسواق استمرت لتكون ملتقى الجماهير فى كل منها .

ومع اختلاف البيئة الثقافية فى كل من الحضارة الفرعونية والحضارة الاسلامية الا ان هناك بعض الخيوط التى استمرت تربط كلا الحضارتين ويمتد معظمها فى عادات السكان وتقاليدهم ونظرتهم الخاصة الى الحياة الاخرى كما استمرت كذلك بعض اثار الفنون وطرق البناء .

توقف الاستمرار الحضارى العربـــى :

من التحليل السابق للتطور الحضارى لمنطقتين مختلفتين من العالم العربى نجد انه بالرغم من المظاهر المشتركة لتأثير الحضارة الاسلامية على كل منهما الا انه لاتزال هناك بعض الخيوط التى تربط كل منطقة ببعض اثار حضارتها القديمة . وهكذا الحال فى مختلف اقطار العالم العربى مثلما لكل منها لهجتها المميزة .

واذا استمر التحليل الى ما بعد الحضارة الاسلامية لوجدنا فترة طويلة مـن الزمن تعرضت فيه الدول العربية الى عديد من الحضارات الغربية عنها فمن الغزو التركى الى السيطرة الغربية التى قسمت الدول العربية الى مناطق نفوذ لها تأثرت منها كل من سوريا ولبنان والجزائر وتونس ومراكش بالحضارة الفرنسية وارتبطت العراق ومصر والاردن وفلسطين وليبيا والسودان بالنظم البريطانية . وهكذا انقطع مجرى الحضارة الاسلامية فترة من الزمن تربو عن ٥٠٠ عاما ارتبطت فيها الحضارة الاسلامية باثار التقدم العلمى والتكنولوجى للغرب والتى تركت اثارها بمقادير متباينة فى القطاعات المختلفة من الشعب العربى . وتعتبر هذه الظروف من اهم المشاكل التى يقابلها المخطط الحضرى الذى يهدف الى ربط التراث الحضارى بالمدينـة العربية المعاصرة .

التأثير المتبادل بين الحضارتين العربيه والغربية

وليس هناك من شك فى ان الحضارة الغربية قد اخذت من الحضارات العربية كثيرا من قيمها الروحية والعلمية وامدت بدورها العالم العربى بكثير من القيم المادية للحضارة الغربية . مما افقد الحضارة العربية توازنها الروحى والمادى وافقد الناس ارتباطهم بتراثهم الحضارى ومـن ثم افقدهم ارتباطهم بالكيان الطبيعى والاجتماعى الذى يعيشون فيه خاصة فى الحضر ولم يفقدهم ارتباطهم بالكيان الطبيعى والاجتماعى الذى يعيشون فيه فى الريف او البادية اذ كانت دائما فى منأى عن طريق الحضارات الغربية التى تركت معظم اثارها فى العواصم ثم فى المدن الاخرى .

وحتى يسير التحليل فى اسلوبه المنطقى وراء البحث عن التراث الحضارى لمدننا المعاصرة لابد أن نبحث عن المظاهر العمرانية التى اخذتها الحضارة الغربية من الحضارة العربية وعما قذفتها به من نتاجها المادى فى غفلة منا .

لقد ظهر تأثير العمارة الاسلامية ـ بعكس ما يدعيه مؤرخو الغرب على العمارة الغربية خاصة فى العمارة القوطية . فيقول المؤرخ المعمارى سيجفريد جيديون انه يمكن الفرض باطمئنان ان قبة كنيسة سان لورنزو لم يكن لها ان تصمم مـالم يكـن جوارينو جوارينى قد شاهد قباب المحراب فى مسجد الحاكم بقرطبة والذى انشأ عام ٩٦٥م فعقود محراب قرطبة كما يقول جيديون تعتبر أول عينة عرفت فى التاريخ اعطى فيها بناء العقد وظيفة انشائية . وقد اكد ذلك بعض المؤرخين الفرنسـيون اذا كان هذا الاختراع الاندلسى هو الذى اوحى للبنائيين القوطيين بعد قرن ونصف امكانية

احلال القبو الصامت فى التغطية بالهيكل الانشائى الحجرى . واذا اخذنا من ذلك مثلا لسقف منزل محمد تادشير الاصفهانى فى كربلاء او لقبو احد المساكن فى الحلة فى العراق لوجدنا مدى التأثير البعيد للعمارة الاسلامية فى اقصى الشرق على العمارة القوطية فى الغرب .

ومن ناحية اخرى فقد تأثرت العمارة المعاصرة فى الغرب بدورها بالقيم المعمارية للعمارة القوطية والتى كان التعبير المعمارى فيها يتمثل فى طرق الانشاء بالاضافة الى الفراغ او الحجم الذى يبنيه هذا الانشاء . واذا كانت العمارة المعاصرة تؤكد فى فلسفتها بأن العمارة عبارة عن تكامل الوظيفة بالتعبير الانشائى فان العمارة المعاصرة بذلك تعتمد اساسا على اهم قيم العمارة القوطية التى استمدت جذورها من العمارة الاسلامية كما سبق توضيحه . كما يتضح من تحليل العمارة الاسلامية مدى التزامها القوى باسلوب التعبير عن الانشاء او التعبير عن الوظيفة . هذا وقد تأثر كثير من المعاصرين فى الغرب بالقيم المعمارية للعمارة الاسلامية ليس فقط من ناحية التصميم ولكن ايضا من ناحية التعبير المعمارى ثم المعالجات المعمارية للعوامل المناخية . فقد كان فى تصميمات لوكوربزيه المعمارى الراحل للمساكن المزدوجة الادوار امثلة لنفس التصميمات التى نراها فى مبنى وكالة الغورى بالقاهرة . ثم كانت المعالجات المناخية التى تميزت بها العمارة البرازيلية .

ومن ناحية اخرى عبرت العمـارة الاسلامية عن كنه الحياة فى مظاهر التباين والتجانس . فيتضح التباين بين الحياة فى الخارج واتجاهها الى الداخل فى المبنى . كما عبرت عن التجانس فى التشكيلات المعمارية فى كل من الاسطح والحجوم . وكذلك فى التشكيلات المتجانسة للفتحات ثم التكوينات المتجانسة للبروزات والابراج . كما عبرت

وضوح عناصر الانشاء فى قبة أحد المساجد المراكشية أساس للقيم المعمارية للعمارة القوطية

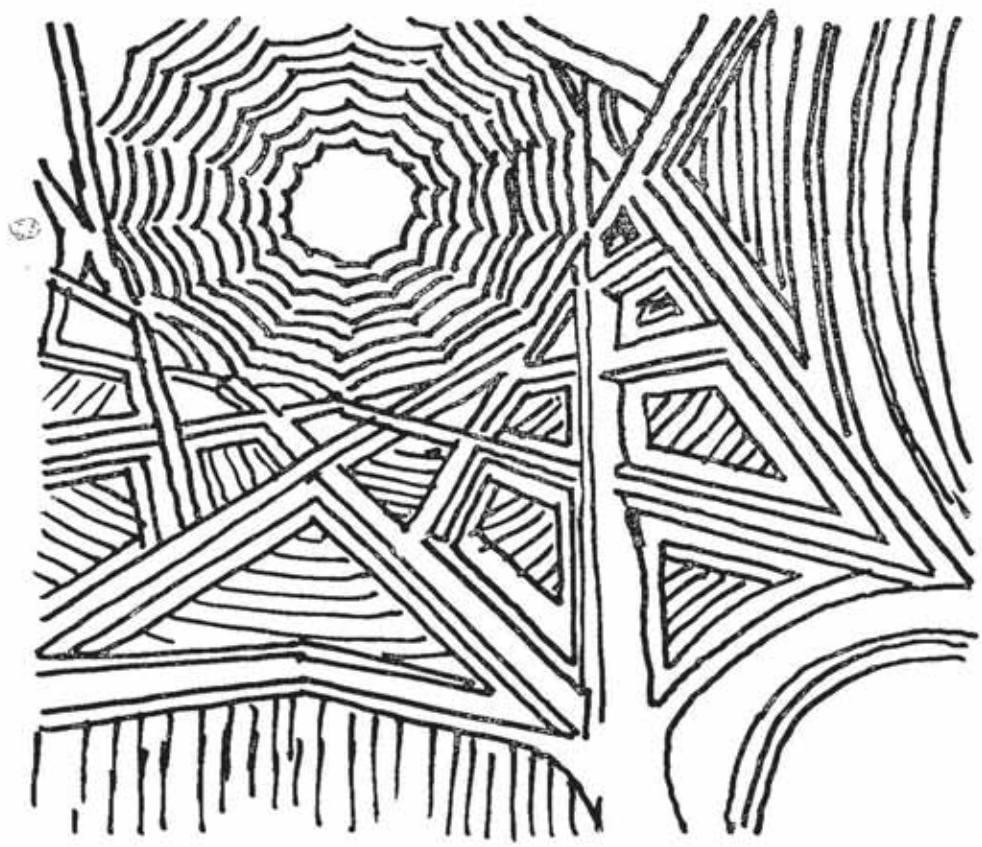

وضوح طرق الانشاء فى المبانى العربية كما فى قبة منزل تادشير الاصفهاني
فى كربلاء بالعراق . وهذه من قيم العمارة القوطية

العمارة الاسلامية كذلك عن قيم التنغيم فى الفتحات المتكررة . وهذه جميعها مبادىء معمارية التزم بها رواد العمارة فى الغرب . فمبنى دار المدينـــة فى بوسطن بالولايات المتحدة والذى صممها ج . كولمان وزملاؤه يعد مثلا لتطبيق هذه المبادىء كما أن مبانى جامعة ساسكس الذى صممها بازل سبنس تعد هي الاخرى مثلا لهذه المبادىء وفى مبنى احد نوادى الطلبة بجامعة درهام بانجلترا مثلا من هذه الامثلة وكذلك الحال فى دار المدينة فى باتيام بفلسطين المحتلة والتى صممها نيومان وشارون مثلا لهذه المبادىء . ثم مستشفى تافيلد للجراحة فى ادنبره للمعمارى بيتروومر سلى ومبنى السفاره الامريكية فى بغداد والتى صممها جوزيه سيرت وجامعة بغداد الجديدة التى صممها جروبيوس كلها امثلة اخرى ناطقة . وهكذا نجد معماريي الغرب قد اعتصروا العمارة الشرقية واخذوا خلاصتها الطيبة واستشفوا قيمها الانسانية وذلك فى محاولتهم لربط حضارتهم المادية بقيمها الروحية .

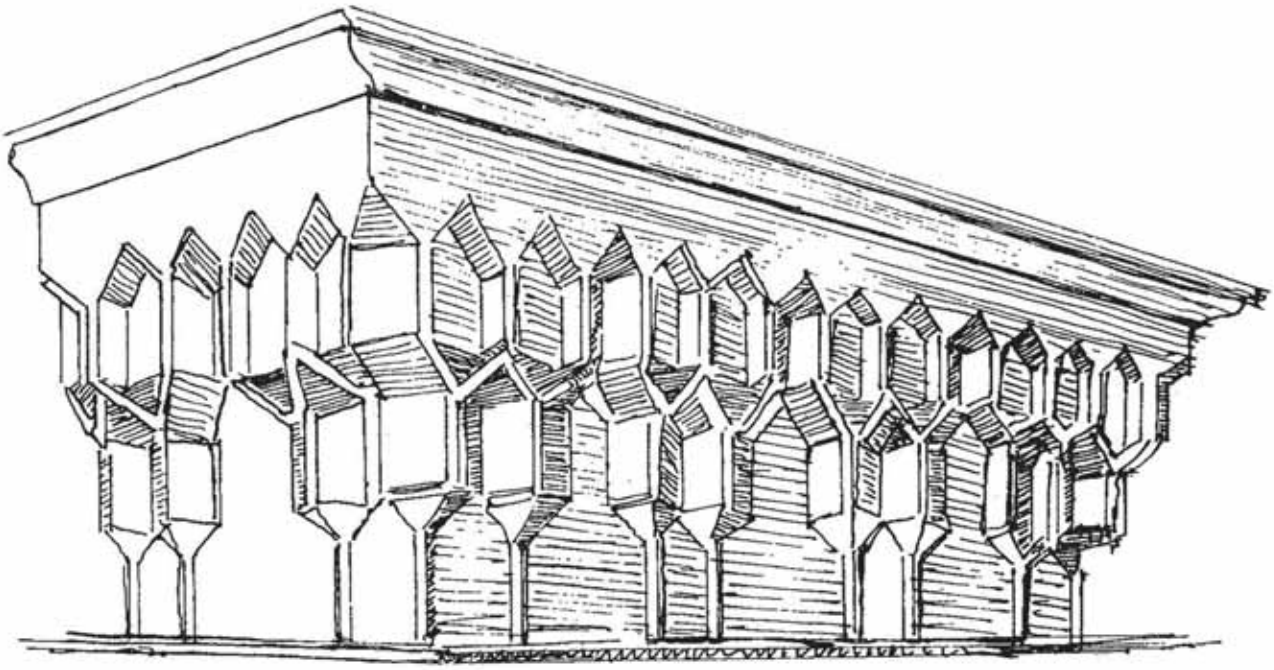

تاج المحراب يوحى بكثير من القيم والتكوينات المعمارية العربية

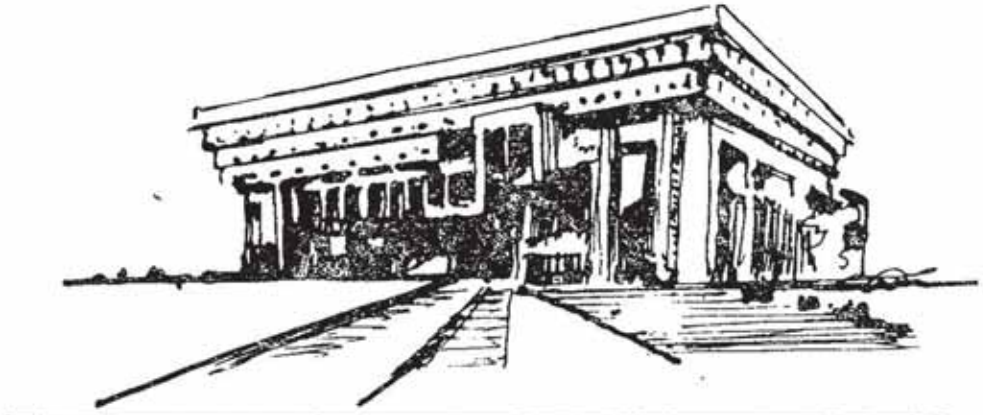

آثار التراث الحضارى فى دار المدينة فى بوسطن بالولايات المتحدة الامريكية

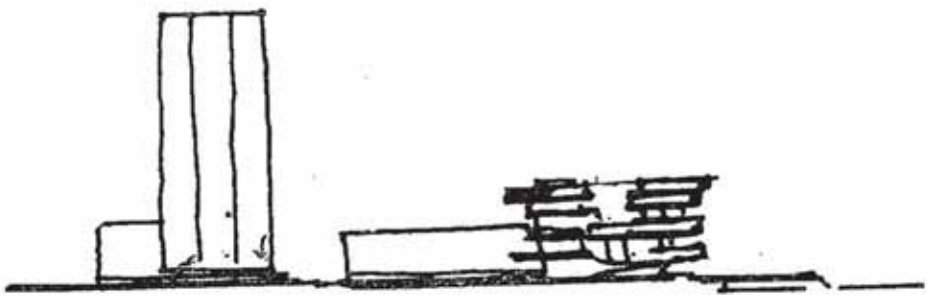

قطـــاع

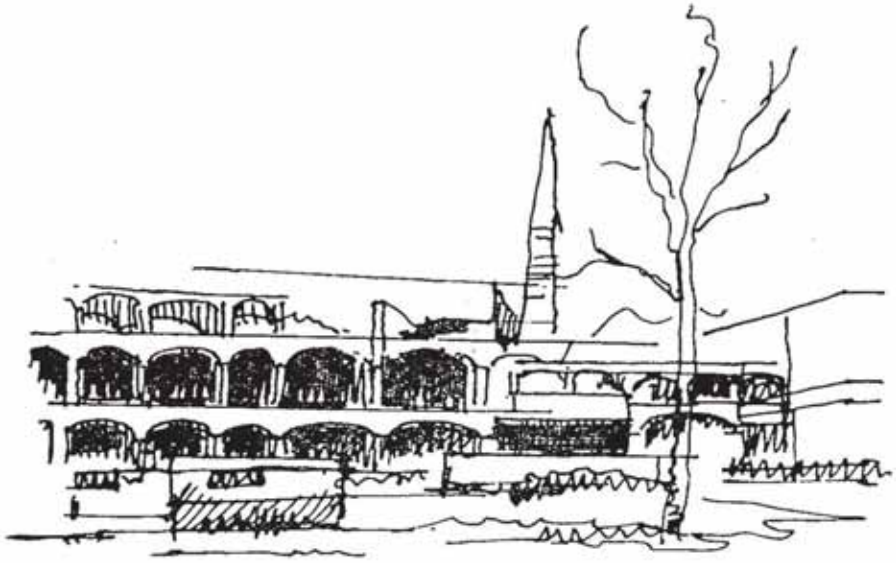

SASSEX UNIVERSITY by BASIL SPENCE

آثار التراث الحضارى فى مباني جامعة سسكس بانجلترا

قطاع طولى فى دار المدينة المقترحة للخرطوم به آثار للتراث الحضارى

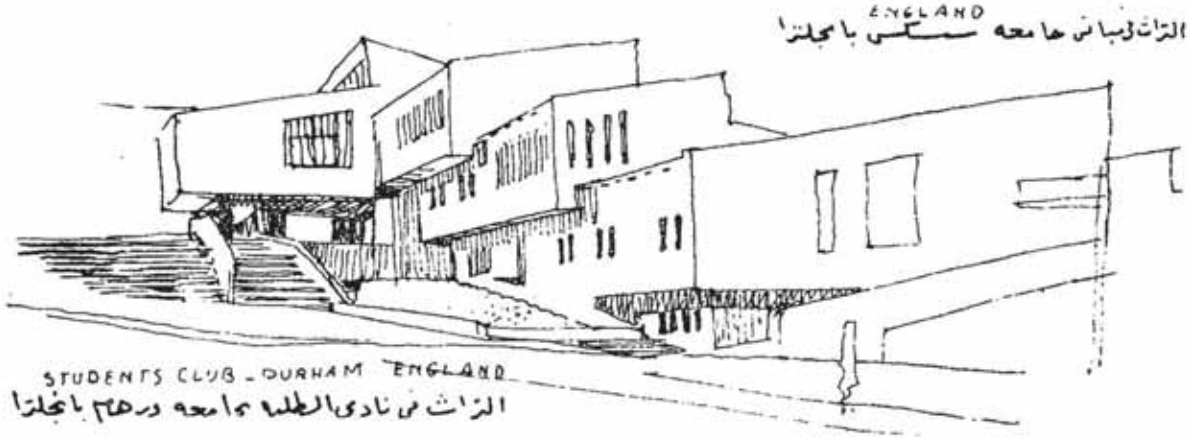

التراث فى مبانى جامعه سسكس بانجلترا ENGLAND

التراث فى نادى الطلبه بجامعه ورهام بانجلترا

من التراث الحضارى فى التشكيل المعمارى لنادى الطلبة بجامعة ورهام بانجلترا

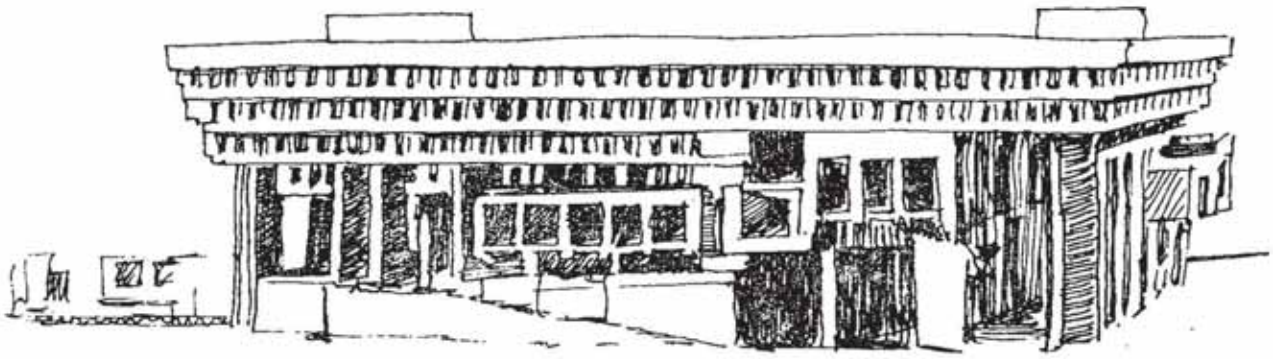

مبنى دار المدينة فى بوسطن بالولايات المتحدة الامريكية وتكوين المقرفصات

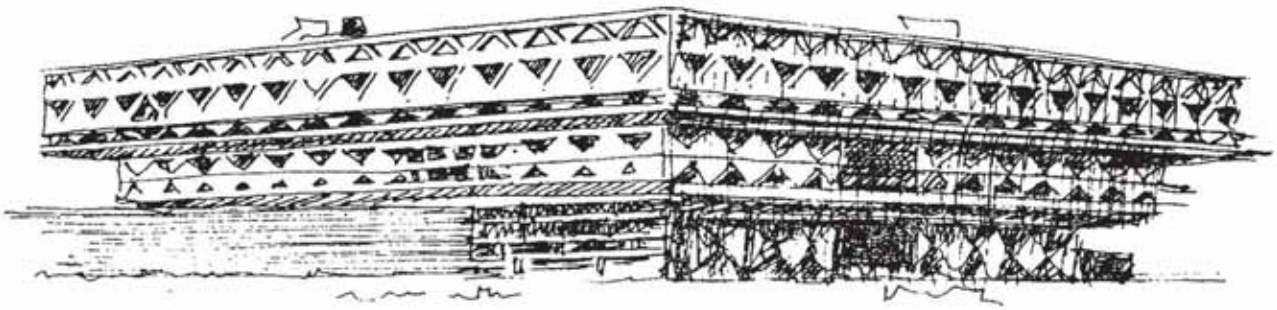

مبنى دار المدينة فى يات يام بفلسطين المحتلة يعرض ملامح التراث العربي

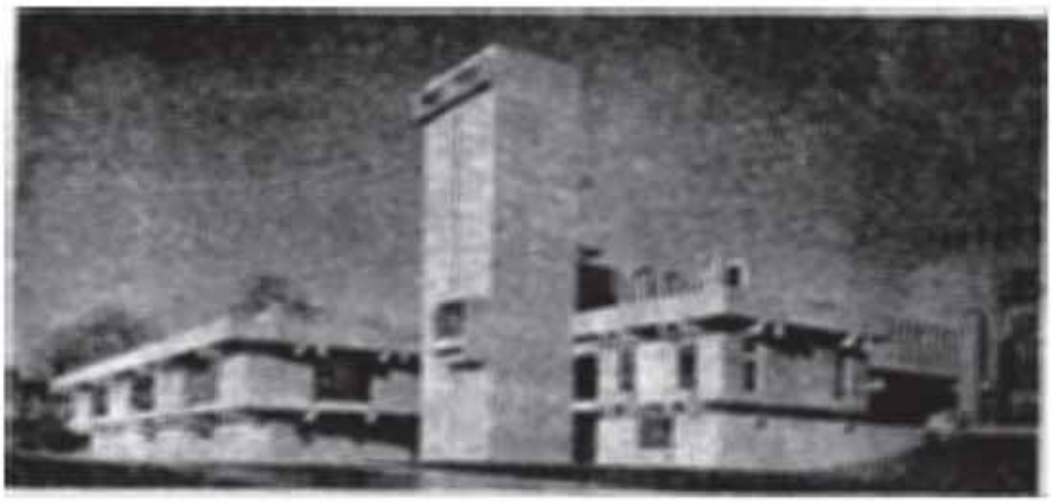

مبنى مستشفى نافيلد فى ادنبره يعرض ملامح التراث الحضارى العربي

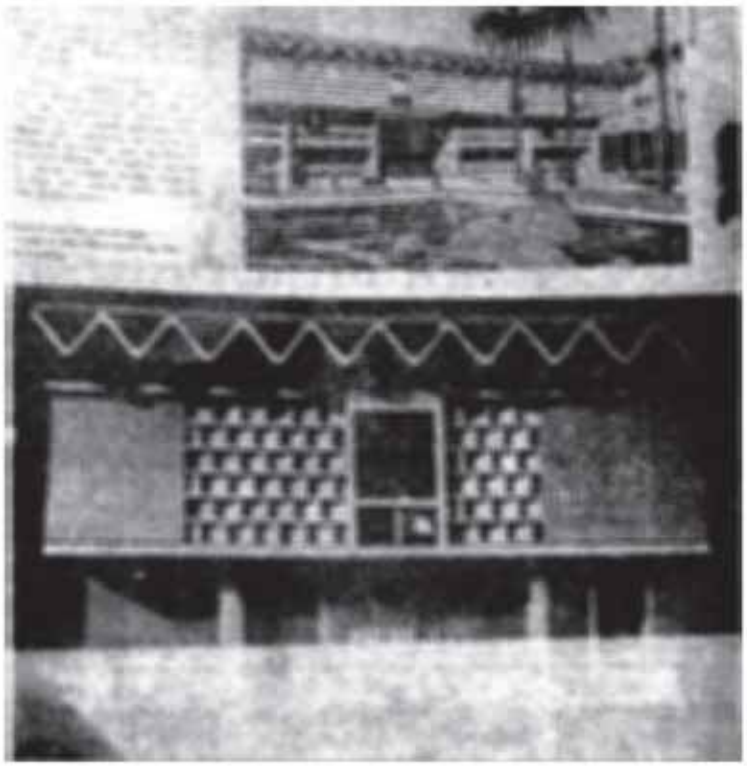

مبنى السفارة الامريكية ببغداد
محاولة لربط العمارة العربية
المعاصرة بالتراث الحضـــارى
للعمارة الاسلامية

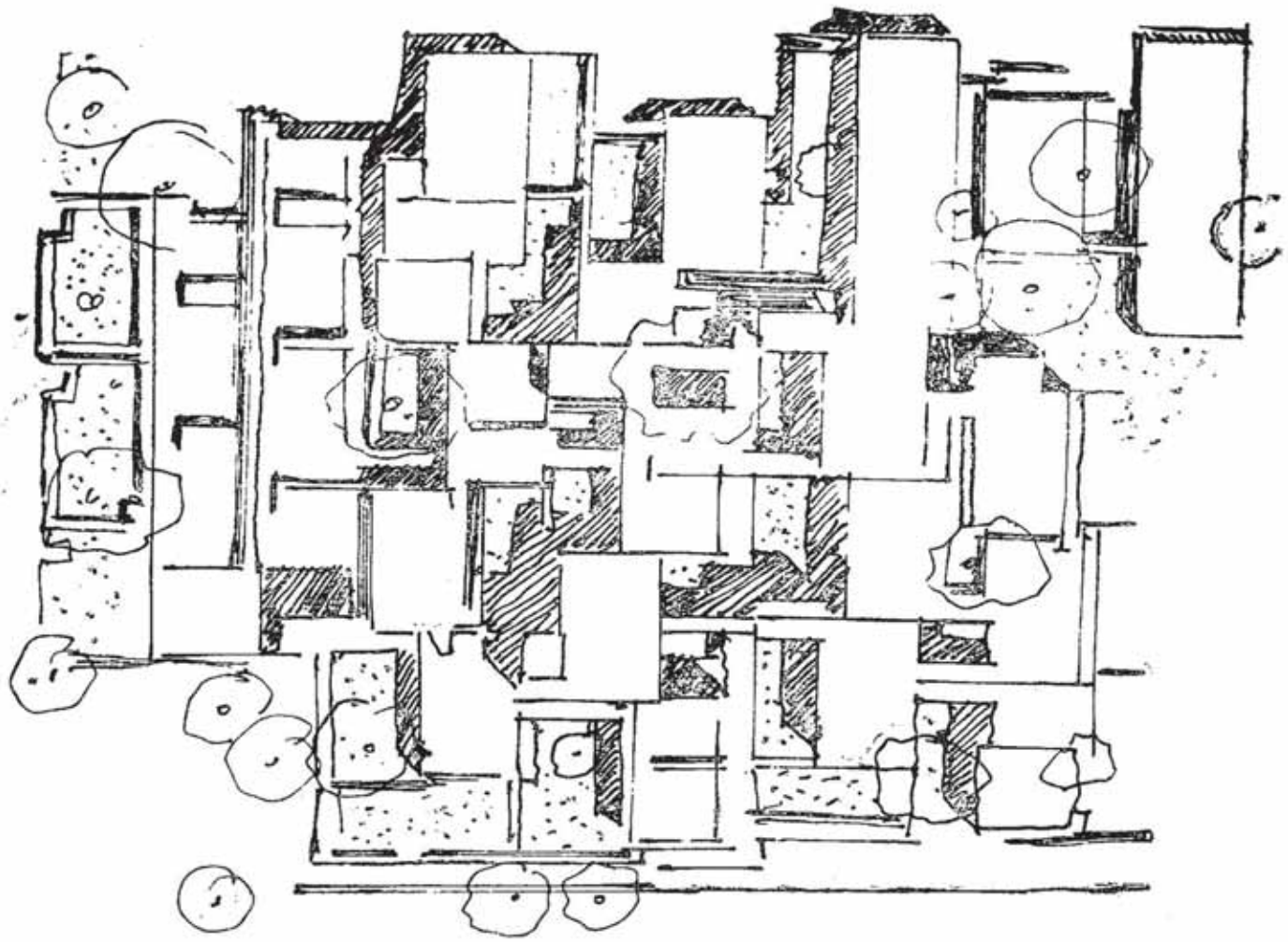

مجموعة سكنية فى جامعة ييل بأمريكا للمعمارى بول رودولف فى مقارنة مع
المجموعات السكنية العربية القديمة

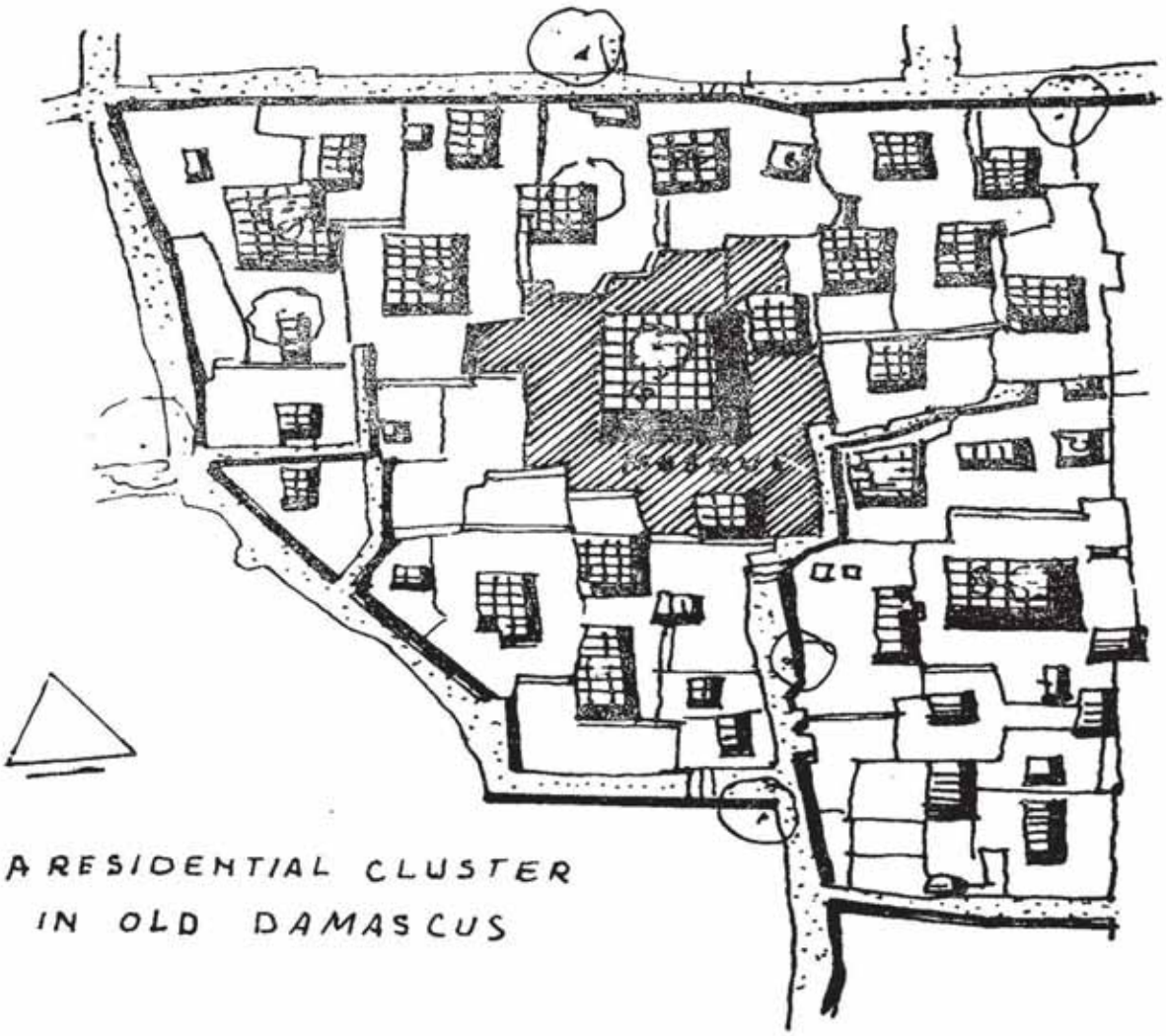

مجموعة سكنية فى دمشق القديمة فيها الملامح الحضارية للمدينة العربية

مبنى مساكن الطلبة فى كامبردج بانجلترا يندمج مع التراث الحضارى للمدينة